S H A K E R   N A B U L S I

أنا للسياسة

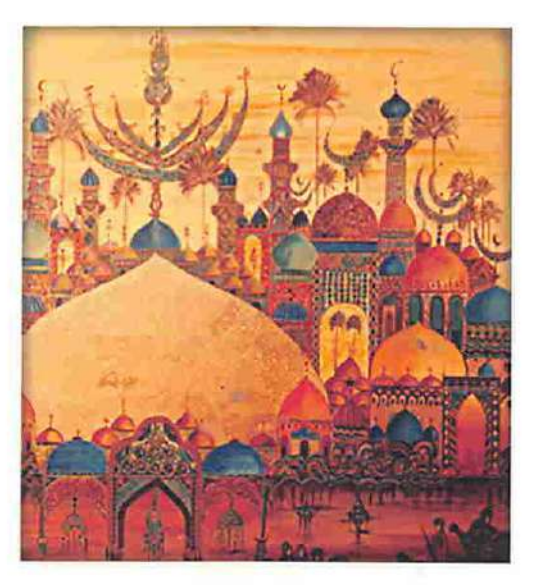
POLITICS & THOUGHT

شاكر النابلسي

الإسلام وجراب الحاوي

لماذا حوّلنا الإسلام إلى حجابٍ وإرهاب؟







الإسلام وجراب الحاوي: لماذا حوّلنا الإسلام إلى حجاب وإرهاب؟ / فكر ـ سياسة
شاكر النابلسي / مؤلّف من الأردن
الطبعة الأولى ، 2011
حقوق الطبع محفوظة



المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص. ب 11-5460 ، هاتفاكس 751438 / 752308 1 00961
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
ص. ب: 9157، عمّان 11191 ـ الأردنّ،
هاتف 5605431 6 00962 / 5605432 6 00962 ، هاتفاكس 5685501 6 00962
E-mail : info@airpbooks.com
موقع الدار الألكترونيّ : www.airpbooks.com
خطوط الغلاف والإشراف الفنّي :
سيبـ® عمّان 95297109 7 00962
لوحة الغلاف : **وداد الأورفلي / العراق**
الصفّ الضوئيّ : **المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر / بيروت ، لبنان**
التنفيذ الطباعيّ : **ديمو برس / بيروت ، لبنان**

ISBN 978-9953-36-143-6



الإسلام وجراب الحاوي

لماذا حولنا الإسلام إلى جراب وإرهاب؟

◆




مكتبة
الفكر الجديد

POLITICS • THOUGHT

◆

شاكر النابلسي

الإسلام وجراب الحاوي

لماذا حولنا الإسلام إلى حجاب وإرهاب؟

◆



الإهداء إلى

المفكر التونسي العفيف الأخضر




مكتبة
الفكر الجديد

المحتويات




مكتبة
الفكر الجديد

فاتحة الكتاب

-١-

لماذا أصبح الإسلام كجراب الحاوي؟

لا بُدَّ أن القراء يذكرون، ما تعرّض له المفكر الإسلامي المصري حسن حنفي، عندما وصف قبل فترة في محاضرة له في مكتبة الإسكندرية القرآن الكريم، بأنه أصبح بين أيدي فئة من الفقهاء المشعوذين كالسوبر ماركت، يستطيع المرء أن يجد فيه كل شيء، ويشتري منه كل شيء.

فقال هؤلاء المشعوذون، إن القرآن يحوي على الكيمياء، والفيزياء، وعلوم الذرة، والفضاء، وعلم الأحياء، وعلوم الأرض والسماء.. الخ. وإن وكالة «ناسا»، قد سرقت معظم أبحاثها الفضائية من القرآن الكريم، دون أن تذكر هذا المرجع الفضائي العلمي المهم. وإن اينشتاين سرق نظريته في «النسبية» من القرآن الكريم كذلك. وإن فرويد تلميذ ناكر، لأستاذه القرآن الكريم في نظرياته في علم النفس. وإن القرآن الكريم فيه من العلوم الطبية، ما لا يوجد في أي مرجع طبي آخر. وان الطب النبوي يفوق طب ما تُعلِّمه جامعات



هارفارد ، وستانفورد ، وبرنستون وغيرها ، وتقوم به مستشفيات «ماي كلينك» . وإن كبار الأطباء ، وخاصة أطباء القلب كمايكل دبغي وغيره ، قد جحدوا ما تعلموه من القرآن الكريم . وإن القرآن الكريم قد تنبأ بالحروب ، والثورات ، والزلازل ، والفيضانات ، والكوارث الطبيعية في العالم . وإن كارثة ١١ سبتمبر ٢٠٠١ مذكورة صراحة وبالتفصيل في القرآن الكريم في سورة التوبة الآية ١١٠ ، كما أشار إلى ذلك الشيخ السعودي السلفي سليمان بن ناصر الطيار ، في كتابه .(١) ولو كان الرئيس بوش من قُرّاء القرآن الكريم ، ومن حفظته ، لعلم ذلك ، ولتلافى مثل هذه الكارثة ، ولنجت أمريكا من شر مستطير!

-٢-

لا أدري هل نحن نحسن إلى القرآن الكريم ، عندما نحمّله كل هذه الأوهام ، التي لا يحتملها أي كتاب آخر في التاريخ ، أم نحن نُسيء إليه؟

وهل نحن بعملنا الجنوني المخبول هذا ، نريد تأليب أعداء الإسلام على الإسلام ، أم نريد كيدهم ، وإغاظتهم ، بادعائنا الباطل ، أن كتابنا المقدس يحوي ما لا يحتويه أي كتاب آخر ،

---

(١) سليمان بن ناصر الطيّار ، «مفهوم التفسير والتأويل» ، ص ٧-١٤ .



سواء كان سماوياً ، أو أرضياً؟

قطعاً نحن نُسيء إساءة كبرى إلى القرآن الكريم ، وإلى الإسلام ككل ، بهذا التبجيل الممجوج ، من حيث نقصد ، ومن حيث لا نقصد .

-٣-

يقول العقلاء منا - وهم قلة قليلة ، وعملة نادرة في زمن العملات المزيفة ، والأفواه اللامجدية - إن القرآن ليس بحاجة إلى تبجيل ، لكي يفرض غناه ، وعظمته . كما أنه يصل في الغنى ، إلى درجة أنه يحول دون انتشار المزاعم العلمية المختلطة بالأساطير . فالقرآن ليس كتاب علم ، أو فلسفة ، أو فن ، أو تاريخ ، أو جغرافيا . إنه كتاب هداية وإرشاد ، وخطاب ديني روحي ، وأخلاقي محض فقط .

-٤-

والذين يرفعون اليوم الشعار السياسي العاطفي الطنّان والرنّان : «الإسلام هو الحل» ، يريدون أن يكون الإسلام ، جراب الحاوي ، الذي يمكن أن تخرج منه الأرانب ، والأسود ، والفيلة كذلك . وكما قال الراحل المفكر الجزائري /الفرنسي محمد أركون ، فـ «كلمة الإسلام أصبحت كالجراب ، تتسع لكل شيء ، ويخرج منها كل



شـــيء .»[1] وهو ما عناه حسـن حنفي بالسوبر ماركت ، حيث العسل ، ومسحوق الغسيل ، وعصير الطماطم .

-٥-

أعداء الإسلام في العالم كثيرون ، منهم الجاهل ، ومنهم الحاقد . وهم جميعاً يمسكون بترّهاتنا ، وتفاسير مجاذيبنا ، وخطابات حمقانا ، وفتاوى دراويشنا الحمقاء ، ويعضون عليها بالنواجذ ، ويعتبرونها الإسلام الذي لا يصُح غيره ، ويستشهدون بها أمام العامة في المنتديات ، والدراسات ، وحلقات الدرس ، والمناظرة . ويقولون للعالم : هذا هو الإسلام ، الذي يريدون منه الحلول ، واسترجاع الطلول .

وهذا الكتاب ، فيه أمثلة من الشعوذة الدينية ، بحيث أصبح الإسلام العظيم كجراب الحاوي ، كما قال محمد أركون ، يحوي كل شيء . ويستطيع الحواة ، والسحرة ، والمشعوذون ، أن يُخرجوا منه كل ما نريد ، ونطلب . ومن هنا ، انتشر الحواة والسحرة والمشعوذون في كل أنحاء العالم العربي ، حيث أصبحت تجارة الدين أنفع وأكثر فائدة ، من أية تجارة أخرى ، بل هي تفوّقت على تجارة المخدرات ، وأصبح حواتها من أصحاب

---

(١) جريدة «إيلاف» الإليكترونية ، ٢٠/٥/ ٢٠٠٧ .



الملايين ، كما أشارت مجلة «فوربس» في أحد أعدادها الأخيرة ،[1] وذكرت أسماء هؤلاء الحواة الدينيين من أصحاب الملايين .

---

(١) قالت مجلة «فوربس العربية» في عددها ، في مارس/أذار ٢٠٠٨ ، إن الداعية المصري (خرّيج كلية التجارة والمحاسب السابق) عمرو خالد ، أصبح من «نجوم الدعوة الدينية» ، عام ٢٠٠٧ ، حيث بلغ دخله السنوي ٢,٥ مليون دولار . وهو أعلى دخل حققه أي داعية ديني على مر التاريخ . كما بلغ دخل الداعية الكويتي الآخر طارق سويدان مليون دولار . وبلغ دخل الداعية السعودي عائض القرني ٥٣٣ ألف دولار . وبلغ دخل الداعية المصري المقيم في الإمارات العربية عمر الكافي ٣٧٣ ألف دولار . وبلغ دخل الداعية السعودي سلمان العودة ٢٦٧ ألف دولار . وهذه الأرقام التي رصدتها مجلة «فوربس» تشير بوضوح إلى أي مدى اتخذ بعض الدعاة الدينيين الدين كتجارة ، بلغت أرباحها أكثر من أرباح تجارة المخدرات ، في العالم العربي . والملاحظ أنه قد استثنت المجلة من مداخيل أعضاء القائمة ، كلّ ما يتعلق بالاستثمارات الفردية التي لا تمتّ للنشاط الدعوي بصلة ، وكذلك الهبات والتقديمات المادية التي يحصل عليها هؤلاء ، سواء من جهات حكومية أو غير حكومية .




مكتبة
الفكر الجديد

فقهاء ونساء




مكتبة
الفكر الجديد

فقهاء وذم النساء

هل أصبحت المرأة ثعبان الفقهاء الحواة؟

إن دراسة الجنسانية العربية ، منذ عصر ما قبل الإسلام حتى اليوم ، سوف تكشف عن حقيقة طبيعة تكوين الفرد العربي والمجتمع العربي ، خلال الحُقب المتتالية . فلا عامل كالجنس والمال ، يستطيع أن يدلنا على حقيقة تركيب أي مجتمع في التاريخ البشري . وقد قلت ذات مرة :

إن الجنس والمال هما أكبر عنصرين صانعين لتاريخ المجتمعات .

أحاديث البخاري ومسلم الكاذبة

القارئ المتبصر لما يُسمّى بموقف الإسلام من المرأة ، ومن مسألة الجنس عموماً ، يلاحظ أن الفقهاء الذين تعرضوا لموضوع المرأة وموضوع الجنس عموماً ، استندوا في كثير من مواقفهم وفتاواهم إلى الحديث النبوي ، الذي تمّ جمعه بعد قرنين من وفاة الرسول عليه السلام .

فتصوّروا كم من التحريف والتأليف ، طرأ على تراث الحديث النبوي ، سيما وأن هذا التراث كان تراثاً شفاهياً ، وليس تراثاً مكتوبا ، وموثقاً لدى كتّاب العدل .



ومن هنا، يقول الباحث في الشؤون الإسلامية/السياسية المصري أحمد الفنجري، إن هناك خمسة آلاف حديث في صحيحي البخاري[1] ومسلم، وكلها تخالف وتتناقض مع القرآن، والعلم، والعقل.

شعوبية البخاري

من ناحية أخرى، يرى الشيخ والباحث المصري أحمد صبحي منصور (زعيم جماعة أهل القرآن» في أمريكا)، أن الغرض من هذه الأحاديث الكاذبة، وغيرها من آلاف الأحاديث غرض سياسي. ويضيف:

«كانت أغلبية أصحاب الحديث قد اتفقوا، على اتهام الهيثم بن عدي بالكذب، وردَّ عليهم تلامذة الهيثم بن عدي المتعصبين للشعوبية، أن تركوا الشعر العربي وأنساب العرب، وتخصصوا في تأليف الأحاديث والقصص، عن النبي عليه السلام وزوجاته. ونشروا هذه الأكاذيب المخالفة للقرآن، ضمن ما سمّوه بالسُنَّة والسيرة النبوية. ولذا، تجد من الغريب، أن يظهر في وقت واحد، معظم أئمة الحديث والسُنَّة، وكلهم من الفُرس الشعوبيين. وكانوا أكثر حذقاً ومهارة من الهيثم بن عدي، لأنهم تخصصوا مباشرة في تزييف الإسلام، بتأليف الأحاديث، ونسبتها للنبي عليه السلام. أي أن الشعوبية،

---

(١) هو ابن برزويه، المشهور بلقب «البخاري»، نسبة إلى إقليم بخارى في خراسان، وهي أشد مناطق فارس تعصباً ضد العروبة والإسلام.



قادت ضد العرب حرباً أدبية ، بدأها حمّاد الراوية ، ثم انتهت بالهيثم بن عدي في العصر العباسي الأول . وبعد انفضاح تلك الحرب ، فإن الشعوبية قادت في العصر العباسي الثاني حرباً جديدة ، ليست ضد العرب ، ولكن ضد الإسلام نفسه ، رداً على إخماد حركاتهم الثورية المسلحة في خراسان . ونجحت الشعوبية في إفساد الإسلام بأحاديث ومرويات كاذبة نشرها تلامذة الهيثم بن عدي . وإذا كان الهيثم بن عدي قد مات حسيراً مجهولاً ، فإن تلميذاً شعوبياً مجوسياً له نجح ، وأصبح الآن متمتعاً بالقداسة لدى رُعاع المسلمين حتى الآن ، وهو البخاري .»[1]

الألباني يطعن في الصحيحين

يقول الباحثون إن رواة الحديث التسعة ، وجدوا صعوبات كثيرة في الكشف عن الحديث الصحيح من الموضوع . فقد جمع البخاري ٦٠٠ ألف حديث ، ولم يثبت عنده غير ٤ آلاف حديث صحيح ، فيها ما يقال . وجمع مسلم بعده ٣٠٠ ألف حديث ، لم يصح منها غير ١٢ ألفا ، وفيها أيضاً ما يقال . أما أبو داود ، فجمع ٥٠٠ ألف حديث ، لم يصح منها غير ٤٨٠٠ حديث . وهذه الأرقام والحقائق تدلنا على مدى التأليف والتحريف اللذين طرآ على الحديث النبوي ، ومدى الكذب على الرسول الكريم . ويؤكد أحمد الفنجري ، أنه ورغم التدقيق

(١) أحمد صبحي منصور ، موقع «أهل القرآن» ، على الانترنت .



الدقيق والتمحيص ، فإن هناك من الأحاديث التي وردت في الكتب الصحاح ما هو ضعيف ، وموضوع ، ومكذوب . ويؤكد الباحث الشيخ ناصر الدين الألباني «أن عدد الأحاديث الضعيفة والموضوعة في الكتب الصحاح ، ومنها البخاري ومسلم قد بلغت خمسة آلاف حديث» .

إذن ، ماذا تبقى من الحديث بعد كل هذا الكذب ، والدسّ وسوء الرواية ، وقلّة الأحاديث الصحيحة؟

ما السبب في قلّة الأحاديث الصحيحة؟

يعلل أحمد الفنجري السبب في قلّة الأحاديث الصحيحة ، أن « كُتّاب الحديث الأوائل كانوا يعتمدون بالدرجة الأولى على سمعة الراوي ، ومدى صدقه ، وعلى شهادة الناس بأمانته وخلقه . وهذا مقياس رغم أهميته ، فهو لا يكفي ، ولا يكاد يُعتمد عليه ، خاصة بعد مرور قرنين أو أكثر ، من وفاة الرسول .»(١)

ولهذا السبب ، فإن كثيراً من الفقهاء الآخرين ، ومن بينهم جماعة «أهل القرآن» في العصر الحديث ، ينسفون نسفاً تاماً ، صحة معظم هذه الأحاديث ، ويطعنون في الشخصيات التي

---

(١) أحمد شوقي الفنجري ، «خمسة آلاف حديث في البخاري ومسلم تتناقض مع القرآن والعلم والعقل» ، منبر الحوار والإبداع ، ٢٠٠٦/١١/٧ .



توارثت في إسناد هذه الأحاديث . ومن المعروف أن الرسول ، نهى أن يروى على لسانه أي حديث ، حيث قال لأصحابه :

(لا تكتبوا عني غير القرآن ، ومن كتب شيئاً غير القرآن فليمحه .)

وقد جاء هذا النهي لحكمة ، كان يعلمها الرسول عليه السلام ، ولسبب كان يتخوّف منه ، وهو أنه عليه السلام ، كان يخشى على القرآن ، وأن يحدث خلطٌ بينه وبين الحديث .

ويلاحظ فقهاء (أهل القرآن) على وجه الخصوص ، أن معظم هذه الأحاديث تقف عند آخر سند ، ولا تصل في معظم الأحيان إلى شخصية الرسول ، التي أسطرها بعض الفقهاء ، وجعلوه عليه السلام أسطورة من الأساطير .

أسطرة شخصية الرسول الجنسية

لقد صوّر لنا بعض الفقهاء شخصية الرسول ، على أنها شخصية أسطورية هائلة ، لا تصل إلى مداركها طاقة البشر العاديين ؛ لذا ، فقد منعوا ، وحرّموا رسمها ، أو تصويرها ، أو تمثيلها في السينما ، على عكس بقية الأنبياء الآخرين ، وأشهرهم المسيح عليه السلام . في حين أن لا آية في القرآن الكريم ، ولا حديث صحيحاً يمنع ذلك . وكان أن قام بعض الفقهاء لأغراض خاصة ، بإضفاء صفات جنسية خارقة على الرسول ، لا يقبلها عقل ، ولا يستطيع علم من العلوم تفسيرها .

ويردُّ أحد رواد جماعة «أهل القرآن» ، وهو الشيخ أحمد



صبحي منصور ، هذا التشويه المتعمد لشخصية الرسول من قبل الراوية الرئيس لأحاديث الرسول ، وهو البخاري ، إلى أن البخاري كان (وهو الفارسي) حاقداً على العروبة والعرب . وكان بروايته لأحاديث نبوية في الجنس ، وأحاديث تخصُّ المرأة ، منسوبة إلى الرسول ، يريد أن يسيء إلى شخصية الرسول وتاريخه . وتصويره للآخرين ، بأنه كان (فالنتينو) عصره ، وشخصية شبقة جنسياً ، لا هم له إلا ممارسة الجنس مع النساء ، ليلاً نهاراً ، منصرفاً عن أمور الدعوة ، والجهاد ، وبناء الدولة الإسلامية الجديدة .

ولو أدرك بعض الفقهاء ، هذه الصورة غير الحميدة ، التي جاءنا بها البخاري ، من خلال أحاديث نبوية موضوعة ، ومختلقة ، وكاذبة ، وبرهان كذبها ، أنها تخالف طبيعة حياة الرسول الحافلة بتكريس الوقت للدعوة الجديدة ، والجهاد ، وبناء الدولة الجديدة ، لامتنعوا عن ترديدها ، والافتخار بها ، ونفش ريش طواويس الإسلام بها .

صور البخاري الجنسية الكاذبة

إن الصورة الجنسية الأولى الصادمة لنا عن شخصية الرسول ، جاءت من خلال حديثين مناقضين تماماً لشخصية الرسول ، التي رسمتها الأحداث ، وشكلها التاريخ الإسلامي في بدء الدعوة .

اسمعوا إلى ما يقوله البخاري عن شخصية الرسول ، التي أصبح في نظر البخاري ، (فالنتينو) العصر الحديث الشبق :



«كان النبي يطوف على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار، وهنّ إحدى عشرة .»

وفي حديث آخر :

«كان النبي يطوف على نسائه في ليلة واحدة، وله تسع نسوة .»

وفي تكملة للحديث، يروي البخاري أن النبي عليه السلام :

« أُعطي قوة ثلاثين رجلاً .»

وفي رواية أخرى :

«أنه أُعطي قوة أربعين رجلاً .»

يا للهول!

فهذه القوة الجنسية كافية لنساء قبيلة بأكملها!

وبغض النظر عن الخيال المريض في هذه الأحاديث، التي لا أرى فيها أية فائدة للإسلام، ولا للمسلمين، وغير المسلمين، فهي أحاديث إن صحّت، فهي تخصُّ النبي وحده، وذات علاقة بحياته الشخصية، ولا فائدة للمتلقي منها أياً كان . وهي ذات خصوصية سرية، لعلاقة أي زوج بزوجته، وعلاقة أي رجل بامرأة . فلماذا هذا الخيال المريض، رغم عدم صحتها، حتى من الناحية الجنسية العلمية، والواقعية الأخلاقية، والتاريخية النبوية؟

إن ممارسة الجنس مع إحدى عشرة امرأة، في ليلة واحدة، يقتضي على الأقل إحدى عشرة ساعة، وبشكل ميكانيكي . فمتى إذن، كان الرسول يصلي في الليل، وهو الذي كان يقضي جزءاً كبيراً من الليل هو وأصحابه في الصلاة والقيام :



﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك﴾[1] .

الفحولة الخارقة

إن تصوير النبي عليه السلام ، وهو على فراش زوجاته ، وقد أعطي قوة ثلاثين رجلاً ، أو أربعين رجلاً ، فيه من الخيال الواسع الشيء الكثير . فلا ندري من الذي قاس وقدّر هذه القوة الجنسية الخارقة ، وهذه الفحولة الذكورية العظيمة؟

فلم نسمع من زوجات النبي الكريمات ، وصفاً لهذه القوة الجنسية ، وهذه الفحولة الذكورية على هذا النحو ، وهنَّ أولى الناس بذكر مثل هذه الحقائق الجنسية ، إذا كانت هناك ثمة حقائق تُقال ، من هذا القبيل .

شبقُ ممارسة الجنس مع الحائض

لقد وصل حداً بالبخاري ، أن روى أحاديث ملفّقة عن الرسول ، تُبيّن أن الرسول كان شخصية شبقة جنسياً ، إلى الحد الذي يمارس معه الجنس مع زوجاته ، وهنَّ في المحيض . وقد منع القرآن ممارسة الجنس مع النساء أثناء المحيض .

ويروي البخاري عن السيدة عائشة ، قولها :

«كنت أغتسل أنا والنبي من إناء واحد كلانا جُنب . وكان يأمرني فاتزر ، فيباشرني وأنا حائض .»

---

(١) المزمّل :٩ .



ويروي البخاري كذلك حديثاً عن ميمونة ، قولها :

«كان رسول الله إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها ، فاتزرت وهي حائض .»

واتزرت هنا ، تعني أن تضع المرأة على فرجها «حفّاظة» ، وتتم الممارسة الجنسية في هذه الحالة من وراء «الحفّاظة»!

لماذا كانت هذه الأحاديث ملفّقة؟

هذان الحديثان الملفّقان تلفيقاً طفولياً غبياً ، يثيران من شدة تلفيقهما ، أسئلة كثيرة :

- كيف يقوم الرسول بممارسة الجنس مع أزواجه وهنّ حائضات ، ويعصي أمر ربه ، الذي قال في الكتاب :

﴿ويسألونك عن المحيض قُل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض﴾[١] .

وهل وصل الشبق الجنسي بالرسول الكريم حد ممارسة الجنس مع المرأة الحائض؟ فهذه إهانة جديدة من البخاري لشخصية الرسول الكريم .

أين متعة الجنس؟

من المعروف أن الجنس متعة . فكيف يتمتع الرسول بهذه المتعة ، وهو يأتي نساءه من وراء إزار؟

فأين المتعة في ذلك ، سيما وأن رائحة طمث المرأة في


(٢) البقرة : ٢٢٢ .



الحيض رائحة كريهة ، تنفّر الرجل منها؟

ومن هنا وصف الله إتيان المرأة الحائض ، بأنه أذى .

من المعروف أن للرسول عدة زوجات ، ومن المنطق أن لا يحضن في وقت واحد . فما الذي لا يدفع الرسول إن وجد إحدى زوجاته حائضاً ، أن لا يذهب إلى أخرى غير حائض؟

وكيف يجيز البخاري لنفسه ، أن يردد مثل هذه الأحاديث المستهدفة أذى وضرراً على لسان زوجات الرسول . وهي أحاديث ذات مضامين شخصية خاصة عن علاقة الزوج بزوجته ، تستحي فنانات «هوليود» الآن من التصريح بها للصحافة ، أو (اللوك) بها في المجالس ، فما بالك بزوجات الرسول؟

فهل سمعتم ممثلة سينمائية أو مطربة ، أو راقصة تتحدث عن زوج يباشرها ، وهي حائض من فوق إزار ، وكذلك تتحدث عن إربه (عضوه الذكري) كما كانت تتحدث السيدة عائشة عن إرب الرسول؟

لقد صوّر هذان الحديثان من جديد شدة شبق الرسول الذي يدفعه شبقه - حسب البخاري - إلى ممارسة الجنس مع زوجاته وهنَّ حائضات . في حين أن القرآن وهو الأصدق من البخاري ، يشير من طرف خفي ، أن نساء النبي كنَّ ضجرات ، وكنَّ يشكين من انشغال الرسول بإقامة الدعوة ، وبناء الدولة ، وغيابه في غزواته المختلفة عنهن . وهذا الانشغال نفسره بعدم ممارسته الجنس معهنَّ بانتظام متواصل ، وانصرافه عنهنَّ . ولذا ، خُيّرن بين الرضا بما هنَّ فيه ، وبين تسريحهنَّ إن أردن الحياة الدنيا وزينتها :



﴿يا أيها النبي قُلْ لأزواجك إن كنتنَّ تُردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكنَّ وأسرحكنَّ سراحاً جميلاً﴾(١)

فكيف نوفّق بين هذا الضيق من غياب الرسول، وبين شبق الرسول ولزومه طوال الوقت نساءه، وممارسة الجنس معهنَّ، حتى وهنَّ حائضات؟

ذم النساء من خلال زوجات الرسول

مثل هذه الأحاديث وغيرها، هي ذم وتحقير، غير مباشر للنساء، متمثلين بنساء الرسول.

فقد صوّرتهن هذه الأحاديث، وكأنهنَّ حيوانات، لا مشاعر جنسية لهنَّ، يأتيهنَّ الذكر متى شاء، حائضات، أو غير حائضات، راغبات، أو غير راغبات، وهنَّ صاغرات مستسلمات!

ومن المعروف، أن الزوجة لا تسمح لزوجها، أن يمارس معها الجنس وهي حائض، خوفاً من أن ينفر منها مستقبلاً، وهو ما عبّر عنه القرآن بـ «الأذى»:

﴿قُل هو أذى﴾(٢)

ولنا أن نتخيل الأذى الصحي، والنفسي، والأخلاقي، الذي يمكن أن يصيبنا من جرّاء ممارسة الجنس مع الحائض. فما بالك بالرسول، وهو المفترض أن يكون قدوة صحية، ونفسية، وأخلاقية لنا، كما هو معروف؟

---

(١) الأحزاب: ٢٧.

(٢) البقرة: ٢٢٢.



القدوة الحسنة

نحن نعلم ، أن الله قد أمرنا أن نتخذ من الرسول قدوة حسنة . فهل هذه هي شخصية الرسول التي نريدها قدوة حسنة لنا ، ولأبنائنا ، ولأحفادنا؟

كذلك ، فنحن نعلم ، أن أفعال الرسول وتصرفاته الصغيرة والكبيرة اليومية والسنوية ، هي المثال الأعلى لنا ، والذي يجب أن نقتدي به .

فهل بهذه الأحاديث يريدنا الرسول أن نفعل ما كان يفعله عليه السلام مع نسائه ، مع ما في هذه الفعال من مخالفة لما أمرنا به الله في قرآنه؟

إنه إذن الكفر بعينه ، الذي جاء به البخاري ، والذي ما زلنا نقدّسه تقديساً يصل إلى حد الإلوهية .

المزيد من ذمّ النساء

أورد البخاري في هذا الشأن أيضاً حديثاً غريباً ، استنكره غالبية الفقهاء ، وفيه من الجنس الرخيص الشيء الكثير . وفيه من الإهانة والذم للمرأة الشيء الكثير أيضاً .

لنقرأ :

امرأة من نساء الصحابة سألت الرسول عن غلام تربى في بيتها منذ الصغر ، والآن قد كبر ، وأصبح رجلاً ، فماذا تفعل بشأنه؟

فقال لها الرسول : أرضعيه خمس رضعات ، فيحرُم عليكِ .

قالت يا رسول الله :



إنه كبير .

قال :

إنى أعرف .

قالت :

إن له لحية .

كل ذلك ورسول الله ، يرخّص لها أن تُرضعه من ثديها .

ثم تكتمل الرواية في صحيح البخاري . وهو أن السيدة عائشة أخذت بهذا الحديث ، فيمن كانت تحبُ أن يدخل عليها من الرجال . فكانت تأمر أختها أم كلثوم ، بنت أبي بكر ، وبنات أخيها ، أن يرضعنهم أولاً من أثدائهن .

فما هو الدافع لهذا الحديث الموضوع؟

وما هي غايته؟

ومن الواضح ، أن هذا الحديث يتعارض مع القرآن الذي ينُصُّ على :

﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾[1]

ثم إنه إهانة للمرأة التي يُطلب منها أن تكون هي المُحلل ، وهي الضحية ، وأن تفتح صدرها وتُرضع الطاعنين في السن . وهم فئة التوّاقين إلى صدور النساء في هذه السن ، التي لا يملكون معها غير مصِّ الأثداء ، وذلك أقصى ما يمكن أن يصلوا به إلى المتعة الجنسية .

---

(١) البقرة : ٢٣٣ .



فلماذا كل هذا الذمّ للنساء من قبل الفقهاء ،[1] الذين يقول عنهم أحمد الفنجري ، إن معظمهم يعتبر أن ما جاء في (صحيح البخاري) ، فهو صحيح!

---

(١) يتساءل مختار الخلفاوي في مقاله (**فتحي بن سلامة : الجنسانية في الإسلام . . من الرجال وإليهم**) (موقع «الأوان» ، ٢٠١٠/١٢/٢٦) : لمَ اتّسمت وضعيّة المرأة بالدونيّة ، والحال أنّ امرأة هي خديجة كانت «شاهد إثبات» على البعثة النبويّة ، وأنّ امرأة هي عائشة كان لها الدور الكبير في بناء دولة المدينة؟!



صحيح أن العرب تاريخياً وعرقياً وجينياً، شعبٌ يُحبُ الجنس كثيراً، ويمارسُ الجنس كثيراً، وتشغله المرأة كثيراً، ربما أكثر من أي شعب آخر. فقد كانت، وما زالت الغرائز الجنسية قوية ومتأججة، في نفوس العرب. لذلك، كان انطلاقهم في جاهليتهم وراء اللذة الجنسية بعيداً. وكان انغماسهم في اللذات شديداً، بحكم الغريزة والصحراء.[١] فالعرب منذ عصر ما قبل الإسلام حتى الآن، انشغلوا، وانهمكوا بالمرأة انشغالاً وانهماكاً، كان مثار انتباه الدارسين والمؤرخين وعلماء الانثروبولوجيا، وغيرهم. ولقد زاد من انشغال العرب بالمرأة، وانهماكهم بها، وبمسألة الجنس عموماً، كونهم شعباً صحراوياً، ليس في يومه الشيء الكثير، الذي ينشغل به عن المرأة، وطلب اللذات منها.

الإسلام نظّم الجنس ولم يحاربه

لقد عرف الإسلام هذه الحقيقة معرفة تامة، وذكية. وكان

---

(١) صلاح الدين المنجد، «الحياة الجنسية عند العرب»، ص١٦.



من أحد مغرياته ، وأساليب دعوته ، لجذب الأنصار له والمؤمنين به ، أن يَعِدَ من يصبح مسلماً بجنات عدن ، لا نظير لها . فيها من الحسان والولدان ، ما لا يقاومه أي إنسان ذكر على وجه الأرض .

فالإسلام لم يحارب هذا الشبق الجنسي العربي الملحوظ عند الرجل والمرأة على السواء ، ولم ينكره على العرب ، فهو في جيناتهم وفي طبيعتهم . بل حاول أن ينظّمه ، ويضع له الأصول ، والأطر ، ويُأنسنه ؛ أي يُلبسه ثوباً إنسانياً رحيماً ، ويجعل منه قيمة إنسانية .[1] وينهمك في جانب من الجنس ، بمعالجة تموضع المرأة ، وعلاقتها بالرجل كزوجة ، وأم ، وأخت ، وذات صلة رحم . ويخصص سورة في القرآن الكريم خاصة بالنساء ،[2] وذلك جرياً على ما جاء في الأديان الأخرى ، التي سبقت الإسلام . فحرّم الإسلام نكاح الأمهات ، والأخوات ، والعمّات ، و الخالات . . الخ . ومنع الزواج بأكثر من أربع نساء في وقت واحد . ونهى عن اللواط ، والسُحاق ، الذي كان بين

---

(١) يقول عالم النفس التونسي/الفرنسي فتحي بن سلامة في مقابلة مع مختار الخلفاوي (موقع «الأوان» ، ٢٠١٠/١٢/٢٦) : لقد طوّر الإسلام فنّا إيروسيّا ليس بمثله ، في العالم ، إلاّ قليل عرفته الهند واليابان أو الرومان . لا يمكن أن نهتمّ بالإسلام دون أن نضع في الحسبان هذه التناقضات كلّها ، لا سيّما أنّ المرأة ، اليوم ، رهانٌ خطير في الحرب الأهليّة التي تمزّق البلدان الإسلاميّة .

(٢) سورة «النساء» .



الذكور والإناث ، يمارسونه قبل الإسلام ، وبعد الإسلام ، وإلى الآن . وقال الرسول الكريم :

«من يعمل عمل آل لوط ، فاقتلوا الفاعل والمفعول .»(١)

كذلك ، نهى الإسلام عن ممارسة الجنس مع البهائم ، وقال الرسول الكريم :

«من وقع على بهيمة فاقتلوه .»(٢)

حيث كانت قبيلة «فَزارة» العربية ، تُعيَّرُ بممارسة الجنس مع الإبل . وكان يقال «أشبق من جُمَّالة» .(٣) وما زال بعض الشبان في الريف العربي ، يمارسون الجنس مع مختلف البهائم ، نتيجة للحرمان الجنسي ، ولصعوبة الحياة الزوجية .

والشعر الجاهلي ، ينقل لنا صورة واضحة عن مدى ولع العرب بالجنس . ويقول بعض الباحثين ، إن الدليل على ولع العرب بالجنس دون غيرهم من الشعوب الأخرى ، أنهم وضعوا أكثر من مائة لفظة للنكاح . ويؤكد صلاح الدين المنجد ، وهو باحث مشهور في المخطوطات ، ومحقق ضليع فيها ، أنه عثر على مخطوطة «النكاح في اللغة» لابن القطّاع الصقلي ، وفيها ذكر لعدد ١٠٨٣ اسماً للنكاح .

ووفرةُ الاسم تدلُّ على شرف المُسمَّى!

---

(١) تفسير الإمام القرطبي : ٢٤٤/٧ .

(٢) تفسير الإمام القرطبي : ٢٤٥/٧ .

(٣) كان جُمّالة رجلاً من بني قيس بن ثعلبة ، يمارس الجنس مع ناقته .



الإسلام وشبق العرب الجنسي

عندما جاء الإسلام ، وجد العرب على هذا النحو من الشبق الجنسي . ووجدهم يمارسون الجنس مع النساء والغلمان ، واعترف بهذه الحقيقة أولاً :

﴿زُيِّن إلى الناس حُبُّ الشهوات من النساء والبنين﴾[1]

ولكنه كما قلنا منع اللواط مع الغلمان ، إلا أنه وعد المؤمنين بالغلمان المخلدين في الجنة .[2]

وحاول الإسلام ، أن ينظِّم الجنس كما قلنا ، واعتبر المرأة قمة الشهوة ، كما هو حالها في التاريخ البشري كله .

ومجاراةً لشبق العرب ، وإشباعاً لغرائزهم الجنسية الملتهبة ، سمح لهم بالزواج بأربع نساء . وأجاز كذلك المتعة الجنسية بما ملكت إيمانهم من السراري ، وأجاز لهم المتعة بالنساء ، المحددة بوقت معين ، باتفاق الطرفين ، لقاء أجر معلوم :

﴿فما استمتعتم به منهنّ فآتوهن فريضة﴾[3]

تحريم زواج المتعة

ولما أصبح هذا الأمر خطراً وفوضى ، في ظل الفتوحات الإسلامية ، وكثرة السبايا والجواري ، وفلتان الاستمتاع بالمرأة ،

(١) آل عمران : ١٤ .

(٢) وهي على أية حال صورة مجازية . فلا يعقل أن يُحرِّم الإسلام اللواط وممارسة الجنس مع الغلمان ، ويجيزه في الآخرة .

(٣) النساء : ٢٤ .



عاد الإسلام وحرَّم نكاح المتعة ، لقول النبي عليه السلام :

«يا أيها الناس ، إني كنت قد أذنت لكم في الاستمتاع بالنساء ، وإن الله قد حرّم ذلك إلى يوم القيامة .»

ومنع الخليفة عمر بن الخطاب زواج المتعة كليةً ، لأن الآباء أنكروا أولادهم ، فعمَّت الفوضى في المجتمع ، وفسدت الأخلاق ، واختلطت الأنساب . وقال ابن كثير :

«رحم الله عمر ، فلو لم ينه عن المتعة ، لاتخذها الناس ذريعة مُدلّسة إلى الزنا .»(١)

إيروتيكا عربية وليست إسلامية

أما نشهده من فسحات في الإجازات الجنسية في الإسلام ، فليست من خيار الإسلام ، وليست من جديده ، بقدر ما هو من قديم العرب ، وتراثهم الممتد . وقد جاء الإسلام ، فوجد العرب غارقين حتى آذانهم في الجنس يُمنةً ويسرة ، فحاول أن يُبقي لهم منه ما هو إنساني رفيع ، ويذهب بهم بعيداً ، عما هو حيواني كريه ، استجابة لرغبات العرب ، كما قال صلاح الدين المنجد في كتابه السابق . ولكن العرب بعد الإسلام ، لم ينضبطوا جنسياً . وحاولوا الالتفات حول الإسلام وتعاليمه الجنسية . وظلوا يتمتعون بالنساء ، والغلمان ، والبهائم .

---

(١) ابن كثير (إسماعيل بن عمر الدمشقي) ، «البداية والنهاية» ، ١٣٠/٢ .



فقهاء شبقون

وقد قام بعض الفقهاء بعد الإسلام ، ورخّصوا ما نهى عنه الإسلام كزواج المتعة . ويقال إن عبد الملك بن جُريج ، فقيه مكة المكرمة ، رخّص زواج المتعة ، ونكح هو شخصياً نحواً من تسعين امرأة نكاح متعة . كما قام بعض الفقهاء بعد الإسلام ، وأفتوا بأدق التفاصيل عن علاقة الرجل بالمرأة ، مما ألهب مشاعر العرب الجنسية ، أكثر فأكثر . وغدت المرأة والفتاوى ، التي قيلت فيها ، وفي علاقتها بالرجل ، هي الشغل الشاغل للفقهاء . وكان ذلك في عصر الانحطاط السياسي في العصر الأموي والعباسي ، وما تبعه من عصور الانحطاط السياسي ، والثقافي كذلك .

ذم المرأة لأغراض سياسية

انشغل الفقهاء على مدار العصور الإسلامية المختلفة ، بالمرأة وشجونها ، واستمروا بهذا الانشغال إلى الآن ، وكما لم ينشغلوا بأي موضوع آخر مهم . وقد ساعد على هذا ، الدور السياسي الخطير الذي لعبته السيدة عائشة وحزبها ،[١] في معركة «الجمل» عام ٦٥٦ م ، في حربها مع الخليفة علي بن أبي طالب . وذهب ضحية هذه الحرب أكثر من ثلاثين ألف مسلم .

---

(١) كان هذا الحزب ضد حزب علي بن أبي طالب في معركة الجمل . وكان أشهر قادته طلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام . وقد قتلا في معركة «الجمل» .



وهي الواقعة التي ندمت عليها السيدة عائشة ، وقالت بعدها نادمة :

«وددت أني إذا مت كنت نسيًا منسيًا .»

وقيل إنها عندما احتضرت جزعت ، فقيل لها :

أتجزعين يا أم المؤمنين ، وابنة أبي بكر؟

فقالت :

«إن يوم الجمل لمعترض في حلقي ، ليتني مُتُّ قبله .»(١)

ومنذ ذلك التاريخ ، ذمَّ الفقهاء على لسان الرسول عليه السلام المرأة ذماً شديداً ، مُعرِّضين نصوص الإسلام للتناقض الواضح والصريح .

فمن المعروف ، أن الإسلام قد أنصف المرأة ، قياساً على ما كانت عليه قبل الإسلام . فحاول أن لا يُغضب العرب ، طمعاً في انضمامهم إلى الإسلام ، وكسبهم إلى جانبه ، وهو الذي كان أحوج ما يكون لهم . كما حاول أن لا يمسَّ بسوء القيم الإنسانية في الوقت ذاته ، باعتباره ديناً إنسانياً ، جاء لنصرة الإنسان ، ذكراً كان أم أنثى . ولكن الفقهاء الذين انهمكوا في شؤون المرأة انهماكاً غير مسبوق ، إلى درجة أنه جاء وقتٌ كالعصر الحديث ، لم يجد فيه الفقهاء من موضوع ، يشغلون به المسلمين غير المرأة ، وحريتها ، وحجابها ، ونصابها ، وحيضها ، وصلاتها . ونسوا ما للرجل وحريته السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية ، من حقوق وواجبات .

---

(١) طبقات ابن سعد ، ١٢٣/٥ .



الفقهاء وإسلام الحواة

وكما اخترع الفقهاء في العصر الأموي - مثلاً- الكثير من الأحاديث السياسية الموضوعة ، في وجوب طاعة أولي الأمر ، حتى ولو أصبحوا كفاراً ، أو حتى ولو جلدوا ظهور رعاياهم ، وسلبوا أموالهم ، فهم كذلك ، اخترعوا ، ووضعوا أحاديث ملفقة عن وجوب إساءة معاملة المرأة . واستطاع أعداء الإسلام فيما بعد ، أن يتخذوا هذه الأحاديث سلاحاً ساماً ضد الإسلام ، ويواجهون بها المسلمين كدليل على احتقار الإسلام للمرأة ، ووضعها في المرتبة الدنيا من الرجل . وجاء هذا الكم الضخم من الأحاديث النبوية الملفّقة ، للحطّ من قيمة المرأة . وكأن المرأة أصبحت عدو الإسلام الأكبر . وكأن الرسول لم يكن يشغله في هذا العالم غير المرأة .

محاولة تأنيث الإسلام

وخُيّلَ إلينا أن الفقهاء بوضعهم هذا الكم الضخم والمتناقض من الأحاديث ، إنما يسعون إلى تأنيث الإسلام ، وتكريسه للحطّ من قيمة المرأة . وكانت الطامة الكبرى ، أن جاء الفقهاء في العصر الحديث ، ودون مراعاة لتغير وضع المرأة في المجتمع العربي المعاصر عما كانت عليه قبل ١٥٠٠ سنة ، ورددوا الأحاديث ذاتها ، دون أية مراعاة لوضع المرأة الجديد في العالم ، وفي العالم العربي ، كذلك .

فالمرأة في العصر الحديث ، وصلت إلى أعلى المراتب السياسية ، حتى في الدول الإسلامية كرئيسة



للوزراء ،[1] وإلى أعلى المراتب العلميـة ،[2] وإلى أعلى المراتب الثقافية : مؤلفة ، وباحثة ، وأديبة ، وشاعرة . ورغم هذه المكانة الإنسانية الرفيعة التي نالتها المرأة ، فما زال الفقهاء يرددون أحاديث ، تقول :

«لا يفعلن أحدكم أمراً حتى يستشير ، فإن لم يجد من يشيره ، فليستشر امرأة ثم ليخالفها ، فإن في خلافها البركة .»

ثم هذه الأحاديث الأربعة الأخرى التي تؤكد ذمَّ المرأة ، وهو ذم من الفقهاء ، وليس من الإسلام :

«شاوروهن وخالفوهن .»

«عوّدوا النساء « لا » ، فإنها ضعيفة ، إن أطعتها أهلكتك .»

«طاعة النساء ندامة .»

«هلكت الرجال حين أطاعت النساء .»

وغيرها من الأحاديث . ومن المعلوم أن القرآن الكريم ، لم يرد فيه أي نص بهذه المعاني ، مما يزيد الشكوك في أن هذه الأحاديث مُختلَقة ، ربما من الشيعة الذين كانوا وما زالوا يكرهون النساء ، في شخصية السيدة عائشة ، أم المؤمنين .

هل الأحاديث عابرة للتاريخ؟

فلو اتفقنا ووافقنا على صحة هذه الأحاديث ، وأن الرسول

(١) كما هو الحال في الباكستان ، وبنغلادش ، وإندونيسيا .

(٢) كفوز شيرين عبادي المحامية الإيرانية التي فازت بجائزة نوبل للسلام عام ٢٠٠٣ .



الكريم قد قالها حقاً - وفي هذا شك كبير- فهل يمكن أن تكون هذه الأحاديث عابرة للتاريخ؟ بمعنى أنها إن كانت صالحة لنساء القرن السابع الميلادي ، اللائي لم يتلقين أي تعليم يُذكر ، وكانت نسبة الأمية بينهن تتجاوز ربما ٩٩٪ ، ولم يحتلوا مناصب سياسية ، واجتماعية ، وثقافية ، وتعليمية ، وتربوية ، ومصرفية تُذكر ، فهل هي صالحة لنساء القرن العشرين ، أو القرن الحادي والعشرين؟

أسئلة استنكارية كثيرة

هل نضع نساء القرن السابع الميلادي مع نساء القرن العشرين ، والحادي والعشرين في كفة واحدة ، وهنَّ اللائي برزن في مجال السياسة ، والتربية ، والتعليم ، والعلوم ، والقضاء ، ومختلف المجالات الأخرى؟

فهل نشاور هؤلاء النسوة ، ونخالفهن؟

وهل هلكت الرجال ، حين أطاعت هؤلاء النساء؟

بل هل هلك المسلمون عندما تولَّت الصحابية ، «السمراء بنت نهيك الأسدية» ، الحسبة في مكة المكرمة ، في عهد الرسول عليه السلام .[1] وكان لها صوت تُعنِّف به الغشاشين؟

وهل هلك المسلمون في المدينة المنورة ، عندما تولَّت الحسبة ، «شفاء بنت بني عدي» ، في عهد عمر بن الخطاب ، وكانت ثاني امرأة في الإسلام تتولى وزارة البلدية . وكانت حقوقها

---

(١) الحسبة فرع من فروع القضاء .



مطلقة على أهل السوق رجالاً ونساءً . تُحلُّ الحلال ، وتحرّمُ الحرام ، وتُقيم العدل ، وتمنع المخالفات؟(١)

وهل هلكت بريطانيا ، عندما كانت تاتشر رئيسةً للوزراء؟

وهل هلكت إسرائيل ، عندما كانت غولدا مائير رئيسةً للوزراء؟

وهل هلكت أمريكا ، عندما أصبحت كوندليزا رايس وزيرة خارجية ، وقبلها مادلين اولبرايت ، وبعدهنَّ هيلاري كلينتون؟

وهل هلكت باكستان ، عندما أصبحت بنازير بوتو رئيسة للوزراء؟

والأمثلة كثيرة ، لا تُحصى .

فهل ندمت الشعوب على طاعة هؤلاء النساء ، كما قال الحديث المنسوب للرسول الكريم؟

فلماذا كل الاهتمام والانهماك في الحطِّ من قيمة المرأة ، وصبٍّ جام غضب الأحاديث النبوية عليها ، وكأن الإسلام جاء خصيصاً لهذا الغرض؟!

حقيقة تاريخية

يجب أن نذكر هنا حقيقة تاريخية ودينية ، وهي أن الحديث قد جُمع بعد مضي ما لا يقلُّ عن مائة وخمسين عاماً على وفاة الرسول الكريم . وأن سير معظم رواة الحديث لم تكن عطرة تماماً!

فسيرة أبي هريرة الدوسي ، أحد رواة الحديث الكبار جداً ،

---

(١) محمد الغزالي ، «السُنَّة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث» ، ص٤٨ .



سيرة فيها الكثير من الطعون . فحين توفى النبي عليه السلام ، ولاّه الخليفة عمر عام ٢٠ هـ على البحرين ، بعد وفاة العلاء بن الحضرمي ، وسرعان ما عزله ، وولّى مكانه عثمان بن أبي العاص الثقفي . أما السبب في عزله ، فكان عندما أجاب أبو هريرة الخليفة عمر ، بأنه يملك عشرين ألفاً من بيت مال البحرين ، حصل عليها من التجارة . وكان ردُّ الخليفة عمر :

«عدواً لله والإسلام ، عدواً لله ولكتابه . سرقت مال الله ، حين استعملتك على البحرين ، وأنت بلا نعلين ، تغوّطت بك أمك .»

وضربه بالدُرّة حتى أدماه .(١)

وقد منع ابن الخطاب أبا هريرة من رواية الحديث النبوي بقوله :

«لتتركن الحديث ، أو لألحقنك بأرض القرود ، أو بأرض دوس .»(٢)

ويؤكد أبو هريرة ذلك ، فيقول :

«ما كنت أستطيع أن أقول قال رسول الله ، حتى قُبض عمر .»

أو :

«لو كنت أحدث في زمان عمر ، مثل ما أحدثكم لضربني بمخفقته .»(٣)

---

(١) ابن عبد ربه ، «العقد الفريد» ، ٥٣/١ .

(٢) ابن كثير ، «البداية والنهاية» ، ٢٠٦/٨ .

(٣) محمد أبو ريّة ، «أضواء على السُنّة» ، ص٥٩ .



ابن عباس: حبر الأمة

وأما عبد الله بن عباس (حبر الأمة) وهو من كبار رواة الحديث أيضاً. فقد ولد قبل الهجرة بسنة أو سنتين. وعندما توفّي الرسول عليه السلام، كان صبياً لم يتجاوز عمره أحد عشر عاماً، ومع ذلك فقد روى حوالي (١٦٦٠) حديثاً، كما يؤكد ابن الجوزي. وأثبتها البخاري ومسلم في صحيحهما. ويأخذ المؤرخون على ابن عباس صراعه الكلامي والفكري مع ابن عمه الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب، الذي قال في ابن عباس:

«يأكل حراماً، ويشرب حراماً، ولم يؤدِ أمانة ربه.»



فقهاء وفوبيا النساء

لماذا أصبحت المرأة مصدر قلق ورعب لرجال الدين ، في المجتمع العربي؟

ولماذا أصبحت المرأة الشغلَ الشاغل لهؤلاء؟

ولماذا يتميز المجتمع العربي والخليجي خاصة بهذه الحساسية المفرطة ، تجاه حقوق المرأة المدنية وحريتها ، وفتح آفاق المجتمع في وجهها؟

وهل المرأة في المجتمع العربي ، تختلف عن المرأة في أي مجتمع مسلم آخر ، كالمجتمع التركي ، الذي منح المرأة حقوقها الاجتماعية والسياسية ، وكالمجتمع الماليزي الذي منح المرأة قبل فترة ، حق أن تكون قاضية في المحاكم العليا ، وكالمجتمع الباكستاني والإندونيسي الذي أوصل المرأة إلى رئاسة الوزراء؟ وهذه كلها مجتمعات إسلامية تعتزُّ بإسلامها .

فوبيا المرأة السعودية

ورغم هذا ، ما زالت قضية المرأة العربية والسعودية خاصة ، قضية مستعصية في السعودية . وفي زيارتي للسعودية خلال ٢٠٠٦ ، استطعت أن أرصد وجهات نظر المثقفين السعوديين من الليبراليين ، ومن رجال الدين ، ومن الرجال ومن النساء على



النحو التالي :

١- الكاتب السعودي علي الخشيبان يردُّ هذه الظاهرة إلى عامل الثقافة السائدة ، التي لم تدرك بعد الدور الحقيقي للمرأة السعودية ، في المجتمع الذي سلب من المرأة دورها بحيث أصبحت مشلولة غير قادرة على أداء هذا الدور . وتمَّ ذلك تحت مظلة دينية مزيفة . فالدين بريء من الفهم الخاطىء لدور المرأة في المجتمع . وإن الثقافة التي تحاول أن تجعل من المرأة قضية سياسية ، واجتماعية ، واقتصادية ، هي ثقافة مرتبكة ، وتخشى على نفسها . وهي ثقافة ذكورية بالدرجة الأولى .(١)

٢- إن تقاليد وأعراف المجتمع السعودي ، ما زالت متشددة ومنغلقة ، نتيجة لعدم اختلاط الشعب السعودي في منطقة نجد ، وفي منطقة عسير ، وجنوب المملكة على وجه الخصوص بالشعوب الأخرى ، والحضارات المختلفة في الماضي والحاضر . وهاتان المنطقتان المؤثرتان في المجتمع السعودي ، هما المنطقتان اللتان ظهر منهما معظم المجموعة الإرهابية ، التي فجَّرت البرجين التجاريين في نيويورك في ٢٠٠١/٩/١١ . وظهر منهما كذلك ، معظم المتطرفين المتدينين من رجال الدين ، والتعليم ، والتربية ، في السعودية ، ممن يقفون بقوة وبشدة ، في وجه كل تقدم للمرأة إلى الأمام ، ومنحها حقوقها المدنية .(٢)

---

(١) جريدة «الوطن» ، ٢٠٠٧/٧/٢٧ .

(٢) أيضاً .



٣- ليس كل المجتمع السعودي من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، ومن أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، له وجهة نظر واحدة، تجاه تموضع ودور المرأة في المجتمع السعودي. فلا شك أن هناك تبايناً واختلافاً في المجتمع السعودي تجاه الموقف من منح المرأة حقوقها المدنية. ففي منطقة الحجاز المنفتحة، ترتفع الصيحات، بإعطاء المرأة حقوقها المدنية، نتيجة لانفتاح وليونة المجتمع السعودي في هذه المنطقة، التي يقطنها سكان من أصول آسيوية، وتركية، ومصرية، وسورية، وعراقية، ومغربية.. الخ. منفتحة. وكذلك الحال في المنطقة الشرقية من المملكة حيث الغالبية من الطائفة الشيعية، التي تبدو أكثر انفتاحاً من الطائفة السُنيَّة النجدية والعسيرية، تجاه إعطاء حقوق المرأة. في حين أن منطقة نجد، ومنطقة عسير، وبعض مناطق الشمال (تبوك، الجوف، عرعر، القريات.. الخ.) تبدي تشدداً أكثر تجاه إعطاء المرأة حقوقها المدنية، بل أقل الحقوق الممكنة.

وهناك - على سبيل المثال - مجموعة من الفنانات التشكيليات في منطقة عسير، المنغلقة انغلاقاً اجتماعياً كبيراً، نتيجة لهيمنة المجتمع القبلي الزراعي عليها، يُعانين المشقَّات الكبرى للتعبير عن فنهن، ورغم ذلك، فهنَّ يحفرن في الصخر بأظافرهنَّ، وينقشن فنونهنَّ بمهارة كبيرة، رغم كل العوائق الاجتماعية والدينية، كما شاهدت في لوحاتهنَّ المعروضة في القرية الفنية الشهيرة



(المفتاحة) في أبها ، في منطقة عسير . وتشكو الفنانات التشكيليات السعوديات من إنكار المجتمع لفنهنَّ .

تقول الفنانة التشكيلية صالحة الزهراني :

«إن المجتمع ، لم يستوعب بعد أهمية الفن ودوره البنيوي في التعبير عن حضارات الأمم .»[1]

وتقول الفنانة التشكيلية جواهر العبيد :

«إن نظرة المجتمع السعودي للفنانة التشكيلية غير منصفة ، وعند الخروج بأعمالها يتمُّ تشويه صورتها .»[2]

وقالت الفنانة آمال الأحمري :

«إن الفنانات التشكيليات يُضطرنَّ إلى توقيع لوحاتهن بأسماء مستعارة ، بسبب نظرة المجتمع للمرأة الفنانة .»[3]

وهذا ما يحدث في مناطق أخرى من السعودية كمنطقة نجد ، ومنطقة عسير ، ومناطق الجنوب السعودي عموماً . في حين أن الفنانات التشكيليات في منطقة الحجاز ، وخاصة منطقة جدة ، لا يواجهن مثل هذا التعسف والممانعة .

٤- لا شك ، أن قدوم فلول الإخوان المسلمين إلى السعودية في الستينات والسبعينات من مصر ، هرباً من بطش عبد الناصر ، وفي الثمانينات هرباً من مجزرة الإخوان المسلمين

---

(١) جريدة «الجزيرة» ، ٢٠٠١/٨/١٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .



في سوريا (مجزرة حماة ١٩٨٢ التي ذهب ضحيتها عشرون ألف قتيل) ، ومنح بعض قادتهم الجنسية السعودية ، والسماح لهم بالعمل في التعليم والتربية والإعلام ، قد ساهم في تعميق النظرة المتشددة لإعطاء المرأة حقوقها المدنية . وروى لي محاسب من لبنان ، يعمل في السعودية منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، أن تموضع المرأة في السعودية ، لم يكن على هذا النحو الآن ، قبل مجيء الإخوان المسلمين إلى السعودية . فقد كانت المرأة غير السعودية - مثلاً - تخرج إلى التسوّق غير محجبة . كما كانت سطوة رجال «هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (الشرطة الدينية) أقل بكثير مما هي عليه الآن . وكانت المرأة السعودية ، قد حصلت على حق التعليم عام ١٩٦٢ ، وكانت تتقدم في مجالات كثيرة . وكانت على أبواب نيل حقوقها المدنية بالتدريج ، ولكن هذه الحقوق تعثّرت ثم توقفت بعد مجيء الإخوان المسلمين إلى السعودية . لقد قام الإخوان المسلمون بسيطرتهم على أجهزة التعليم السعودي بفرض فكر سيّد قطب المتشدد ، من خلال كتابه المعروف «معالم في الطريق» . ونشر فكرة «الولاء والبُراء» ؛ أي الولاء للإسلام وللمسلمين فقط ، والبُراء من بقية الأديان والتابعين لها . وقد أخبرني الأمير خالد الفيصل آل سعود الشاعر والرسّام ، ورئيس «مؤسسة الفكر العربي» ، وأمير منطقة عسير ، ثم أمير منطقة مكة المكرمة ، أن فكرة «الولاء والبُراء» لم تكن موجودة في المناهج الدراسية



السعودية قبل الستينات من القرن الماضي . وأنه درس في مدارس المملكة ، ولم يعرف فكرة «الولاء والبُراء» من خلال دراسته . وهكذا تم تحويل أنظمة التعليم «إلى فيلة بيضاء ، غالية التكاليف ، ضعيفة المردود .»(١)

٥- قيام رجال الدين مؤخراً ، بتشريع أنواع جديدة من الزواج هي أقرب إلى الدعارة الشرعية منها إلى الزواج . وهو غطاء شرعي لأصحاب الشهوات المنحرفة . فقد تمّ تشريع زواج المسيار (الزواج السريع ، على غرار الوجبات السريعة) أو (زواج المرور السريع) مؤخراً ، بفتوى من مجمع الفقه الإسلامي بالسعودية ، وسط احتجاج كبير من قبل النساء السعوديات خاصة . وهو زواج مؤقت لمدة محدودة ،(٢) مقابل مبلغ من المال ،(٣) دون أي التزامات مالية أو اجتماعية في المستقبل بين الطرفين . إنه من نوع الدعارة .(٤) وقد رفضت معظم السعوديات هذا النوع من الزواج ، وقالت الكاتبة فايزة الأحمدي :

«إن هذا الزواج ، يحوّل المرأة إلى وسادة خفية لمتعة الرجل ،

---

(١) علي الخشيبان ، جريدة «الوطن» السعودية ، ٢٠٠٦/٥/٢٦ .

(٢) يمكن أن يكون لساعات معينة فقط .

(٣) ٥٠٠٠ ريال للبكر ، و٣٠٠٠ ريال للثيب .

(٤) لم يكن هذا النوع من الزواج عند العرب قبل الإسلام ولا بعده . كما لم يعرف في العهود الأموية والعباسية وغيرها . ولم يعرفه العرب إلا حديثاً ، وفي السعودية تحديداً!



دون أدنى اهتمام بقوام الأسرة ، الذي هو أساس الحياة الزوجية .»[1]

وكتب الصحافي وليد الحارثي يقول ، إن المأذونين الشرعيين يتلقون كل يوم أكثر من ١٠٠ طلب «زواج مسيار» ، بعد أن أقرَّ هذا النوع من الزواج «المجمع الفقهي السعودي» . وأن هناك عشرة آلاف طلب «زواج مسيار» من الرجال ، مقابل طلب واحد من النساء .[2] واعتبرت الكاتبة السعودية الدينية المتشددة د . سهيلة زين العابدين أن «زواج المسيار» لا علاقة له بالإسلام ، ولا يمتُّ إلى الإسلام بصلة . وحملت حملة شعواء على الفقهاء الذين حللوا ، وشرّعوا لمثل هذا الزواج . واعتبرت هذا الزواج امتهاناً للمرأة ، واعتبارها أداة متعة للرجل .[3] ورغم هذا فقد انتشر هذا الزواج انتشاراً كبيراً في السعودية خاصة ، لعدة أسباب ، منها :

- رغبة الرجال في المتعة الجنسية ، غير المكلفة مادياً .
- ارتفاع نسبة العنوسة بين النساء (مليون ونصف مليون عانس) ،[4] وكذلك ارتفاع نسبة الطلاق (١٨ألف حالة

---

(١) جريدة «الوطن» ، ٢٠٠٦/٩/٢٥ .

(٢) جريدة «المدينة» السعودية ، ٢٠٠٦/٦/٢ .

(٣) جريدة «المدينة» السعودية ، ٢٠٠٦/٥/٢٦ .

(٤) بموجب دراسة قام بها عبد الله الفوزان ، الأستاذ المشارك بقسم الاجتماع بجامعة الملك سعود بالرياض .



طلاق في عام ٢٠٠٨ فقط)[١] .

- عدم رغبة الرجال في تحمُّل المسؤولية ، وعدم قدرتهم على ذلك .
- غلاء المهور ، وارتفاع تكاليف المعيشة ، ورغبة الرجل في التغيير .
- رفض الزوجة الأولى لفكرة التعدد .
- رغبة بعض الفتيات في عدم الارتباط الكامل بزوج ما .
- عدم استقرار الرجل في مكان واحد ، بسبب العمل .

وقال الباحث الاجتماعي السعودي علي أبو داهش ، والذي عمل ١٨ سنة في مكاتب متخصصة في حل المشكلات الاجتماعية في الرياض ، وأهمها الطلاق ، تحت إشراف مجموعة من الباحثين الاجتماعيين ، أن أهم أسباب الطلاق المبكر هو عدم النضج . حيث يندفع الطرفان إلى القيام بتصرفات تؤدي إلى الطلاق ، وكذلك عدم التفاهم بسبب قلة الخبرة الناتجة عن صغر السن ، بالإضافة إلى حالات انطواء الزوج بالرغم من شخصيته الاجتماعية خارج المنزل ، حيث يتطوي على نفسه بمجرد دخوله البيت .[٢]

الحلال والحرام

وفي الوقت نفسه ، الذي يُحلّل فيه «المجمع الفقهي

---

(١) أيضاً .

(٢) جريدة «الرياض» ، ٢٠٠٧/٣/١٣ .



السعودي» مثل هذا الزواج ، يُحرّم نشر صور المرأة في الصحافة السعودية ، كما أفتى الشيخ عبد العزيز آل الشيخ مفتي السعودية الراحل .[1] وقال الشيخ السلفي المتشدد محمد المنجد إن نشر صور النساء في الصحافة من أعمال الرذيلة .[2] وقال الشيخ صالح الفوزان (عضو هيئة كبار العلْماء في السعودية) «إن من الظواهر السيئة والفتنة العظيمة ، تصوير النساء على صفحات الصحف .»[3] بينما قال د . عادل المكينزي أستاذ الإعلام بجامعة الملك سعود بالرياض ، إن نشر صور النساء في الصحافة فيه مخالفات للإسلام وفيه فتنة .[4]

وفي تاريخ سابق ، كان الملك عبد الله بن عبد العزيز ، قد حذر من نشر صور للنساء السعوديات في الصحف السعودية .

---

(١) بدأت صور وجوه بعض النساء السعوديات في عام ٢٠١٠ تظهر في الصحف السعودية وخاصة الكاتبات منهن كحليمة المظفر وأمل زاهد والشاعرة الأكاديمية فوزية أبو خالد والمصرفية نهاد الطاهر ، وغيرهن . كذلك فقد ظهرت صورة الملك عبد الله بن عبد العزيز وولي العهد الأمير سلطان بن عبد العزيز مع مجموعة من النساء السعوديات الناشطات ، وهن كاشفات الوجه . ولعل تلك كانت رسالة إلى الصحافة السعودية بالسماح بنشر صور وجه المرأة السعودية . كما بدأت صور الطالبات السعوديات تظهر في الصحافة السعودية ، وهنٌ كاشفات الوجه .

(٢) جريدة «المدينة» ، ٢٠٠٦/٩/٣٠ .

(٣) «شبكة سحاب السلفية» ، ٢٠٠٦/٦/٢ .

(٤) جريدة «الرياض» ، ٢٠٠٧/٣/١٣ .



ونقل عن العاهل السعودي قوله ، خلال اجتماع مع رؤساء تحرير الصحف :

«يا إخوان فيها جهة خيرة وجهة أخرى الله أعلم بها وأنتم إن شاء الله من الجهة الخيرة . . وتبقى بعض الصور التي تنشر في بعض الصحف وهذه يا إخوان ليست منا . وليفكر الواحد منا ، هل يقبل أن ابنته أو أخته أو زوجته تظهر بهذه الصورة؟ لا لن يقبل أي أحد بذلك ، ما من شك .»[١]

وهذا ما يؤكد من جديد - ويا للغرابة - أن المرأة السعودية تختلف عن كل نساء البلدان الإسلامية . وأن لها مكانة في الدين ، تختلف عن مكانة بقية النساء المسلمات في جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي . وأن الدين الإسلامي الصحيح والقويم «غير المُحرَّف» ، هو ما يعتقد به السعوديون فقط ، دون باقي مسلمي العالم .

ولكن الصحف السعودية - كما ذكرنا قبل قليل - استمرت في نشر صور النساء السعوديات الناشطات في المجالات التعليمية ، والتربوية ، والصحية ، والاقتصادية ، والثقافية كاشفات الوجه . بل إن هذه الصحف وبعض المواقع السعودية على الانترنت ،[٢] توسعت أكثر فأكثر ، في نشر هذه الصور .

---

(١) موقع «أخبار الغد» ،١٧/٥/٢٠٠٦ .

(٢) كالموقع الليبرالي «الحوار والإبداع» ، الذي يشرف عليه الشاعر الحداثي علي الدميني .



٦- ونتابع ما ابتدأنا به ، وهو رصدنا لكون المرأة السعودية قضية مستعصية . فهذه وجهة نظر سادسة تقول ، إن سبب تكبير حجم قضية المرأة السعودية ، هو سخط رجال الدين على مجموعة من الكاتبات السعوديات الليبراليات المنتقدات لآراء وأفكار وطروحات رجال الدين مثل الكاتبة جهير المساعد ، ومها الحجيلان ، وليلى الأحدب ، وميسون الدخيل ، وموضى الزهراني ، وفاطمة الفقيه ، وغيرهن من الكاتبات الليبراليات اللامعات في الصحافة السعودية ، وخاصة في صحيفة «الوطن» التي تعتبر أكثر الصحف السعودية ليبرالية ، واحتضاناً للكتاب الليبراليين . فرجال الدين كصالح الفوزان يعتبر أن كل فكرة ، أو رأي ، يسعى إلى إعطاء المرأة بعضاً من حقوقها المدنية هي أفكار غربية كافرة ، قادمة إلى السعودية ، لهدم القيم الإسلامية في السعودية .

٧- لا شك أن العامل الاقتصادي المهم ، القائم الآن في السعودية ، قد ساعد على خفض صوت المطالبين بمنح المرأة السعودية حقوقها المدنية . ففي الماضي وفي الثمانينات ، وبعد انتهاء حرب الخليج ١٩٩١ ، التي خرجت منها السعودية منهكة القوى الاقتصادية ، ومدينة بمليارات الدولارات للخارج والداخل . وتدنّى دخل الفرد السعودي السنوي إلى أقل من ٧٠٠٠ دولار سنوياً ، بدأت الأصوات الليبرالية الرجالية والنسائية تعلو لإعطاء المرأة السعودية حقوقها المدنية ، لكي تتمكن من العمل ومساعدة زوجها



والمساهمة في تكاليف المعيشة . ولكن المرأة السعودية حتى الآن ، وفي ظل هذا الثـراء ، والوضع الاقـتـصـادي المريح للغالبية العظمى من النساء السعوديات ، ما زالت تطالب بمنحها فرص العمل كاملة . فتقول سارة محمد المظلوم التي تحمل شهادة جامعية ، وقد فقدت زوجها ، بأنها لا تجد عملاً حتى الآن ، ومنذ سبع سنوات ، وهي أم لخمسة أطفال ، مما اضطر ابنها إلى أن يسرق طعامه - بعلمها - من بقالة في الحي ، دون أن تؤنبه ، لعلمها أنه يسرق لأنه جائع ، ويريد أن يأكل![1]

كاتبة سعودية تلخّص الأزمة

لقد لخّصت أزمة المرأة السعودية الكاتبة السعودية الليبرالية المعروفة جهير المساعد[2] بقولها :

---

(١) موقع «منتديات أحرار» ، ٢٠٠٦/٥/٢٤ .

(٢) جهير عبد الله المساعد كاتبة سعودية شجاعة ، ومدافعة عن حقوق المرأة السعودية . وقد تعرّضت لمحاولة اغتيال ذبحاً بالسكين من عنقها ، في يونيو ، عام ٢٠٠٤ . ولكنها نجت من المحاولة ، كما سبق مع فرج فودة عام ١٩٩٢ ، ونجيب محفوظ عام ١٩٩٤ . يشار إلى أن الكاتبة جهير تعرضت لحملة أصولية ، في بعض المنتديات ، صنفتها ضمن العلمانيين أعداء الإسلام . كما تلقت تهديدات شخصية عبر هاتفها ، ومن خلال بريدها الإلكتروني . ونشرت جهير مقالات قوية تناولت فيها أسباب نشوء الإرهاب المتطرف في السعودية ، وكتبت مساجلة قوية مع ==



إن في السعودية خمس فرقاء، يختلفون حول المرأة السعودية وأزمتها، وهم:

الفريق الأول، يرى أن المرأة السعودية تعيش في نعيم ورغد، ولا ينقصها شيء في الحياة. وهي تحاط برعاية كبيرة من المجتمع، الذي يريد لها أن تكون بعيدة عن المتاعب، بابتعادها عن السياسة والانتخابات والدخول في مناقشات وندوات في الأندية التجارية والثقافية. ويرون أن بقاءها خلف الجدران أضمن له، وأحسن عملاً.(١)

والفريق الثاني، يرى أن المرأة السعودية تعيش أزمة الخروج من العصر، وأزمة القمع، والمصادرة، والإلغاء. فلا هي تنتمي إلى العصر الحديث، ولا هي تنتمي إلى عصر أمها، أو جدتها. وهذا الفريق، يريد للمرأة العلم كل العلم، والعمل كل العمل، والحقوق كل الحقوق. فلا حجاب للمرأة، ولا ممانعة من قيادة السيارة، ولا ممانعة لحفلات النساء، وسينما النساء، ونوادي النساء الرياضية.

والفريق الثالث، وهو فريق «الصحوة» الراديكالية (معظم

= محسن العواجي. ثم أكملت الجولة بمقال قوي حمل تساؤلات مشروعة وجوهرية، في الوقت ذاته، حول سبب إصرار أئمة المساجد السعودية على القنوت للعراق وأفغانستان، بينما يتجاهلون إرهاباً وحشياً ينسف حياة الأبرياء، وينشر الرعب والدمار في بلدهم.

(١) لخّص هذا كله، الكاتب الإسلامي المتشدد في مكة المكرمة أحمد محمد جمال، في كتابه «مكانكِ تحمدي».



رجال المؤسسة الدينية) . فهؤلاء لا شغل ، ولا همَّ لهم غير المرأة ، وأشجانها . وهؤلاء وضعوا المرأة في أقفاص لم يضعها فيها الإسلام . وعلقوا عليها مسؤولية أسوأ الشرور وأقبح الفتن . واعتمدوا خطاب الزجر ، والتهديد ، والتخويف . وأنكروا على المرأة ما أباحه لها الإسلام نفسه .

والفريق الرابع ، هو الفريق الأجنبي في الغرب . وهذا الفريق ينادي بتبديل المرأة السعودية تبديلاً كلياً . ويعتبر المرأة السعودية أزمة الأزمات . كما يعتبرها خارج نطاق نساء العالم ، ولا يحق لها الانتماء للقرية الكونية ، لتخلفها ، واختلافها شكلاً ومضموناً .

أما الفريق الأخير ، فهو الفريق المتفرج ، الذي لا يحرك ساكناً . وكأن أمر المرأة السعودية ، وأزمتها لا يعنيه ، من قريب أو من بعيد .

وتدعو الكاتبة جهير المساعد المرأة السعودية إلى عدم الإنصات إلى هؤلاء الفرقاء كافة . وأن على المرأة السعودية أن تبادر إلى رسم مستقبلها بنفسها ، وأن تخطَّ طريقها وحدها ، وبالطريقة التي تناسبها ، وتتماشى مع وضعها في مثل هذا المجتمع . فأزمة المرأة السعودية ، أنها بين أيدي هؤلاء الفرقاء ، يلعبون بها ككرة القدم ، ويتعاملون مع وجودها بطريقة ركلات الترجيح ، كل فريق يريد تسديد هدف ، يقوده إلى الفوز على الفريق الآخر .(١)

---

(١) جهير المساعد ، «أزمة المرأة السعودية» ، جريدة «الوطن» ، ٢٠٠٦/٥/٢٧



وتختم جهير المساعد كلامها بقولها :

« وذروة الأزمة أنه تمَّ تشييؤها ؛ أي تصنيفها كأنها شيء من الأشياء ، يمكن تحريكه من موضعه إلى موضع آخر ، كحجر الشطرنج . أو توظيفها لصالح غايات يريدونها لأنفسهم وليس لها . لذلك ، أخذت أزمتها تشتد ، باعتبارها شيئاً يمكن توظيفه ، وليس إنساناً له عقل ، وإرادة ، وموقف ، وحرية اختيار .

وبلغت الأزمة منتهاها ، حين استمرت في حياتها كالجائع ، الذي يعيش على رائحة الشواء ، يشم رائحة الطعام الشهي ، ولا يستطيع أن يأكله . يعني سمِعَتْ وقرَأتْ من حلو الكلام ، ما يملأ أطناناً من الورق ، وملايين من الأشرطة ، وفي النهاية كانت مثل الذي شم الرائحة (وبس) .

هل بعد ذلك هي مسكينة؟

لا ، فقط ، إذا تمسَّكت بإرادة ألاَّ تكون لعبةً لأحد .»[١]

---

(١) المصدر السابق .




مكتبة
الفكر الجديد

لا عين لفقهاء إلا على النساء

لم يُسِء أحد من كفّار الشرق والغرب وملحديه إلى الإسلام، كما أساءت له شلة من فقهاء الظلام والجهالة. وهؤلاء حين يُفتون ويتفنّون في إصدار الفتاوى الظلامية الجاهلة، يُمنة ويسرة، يحسبون أنهم بذلك يقدمون خدمة لإسلام القرن الحادي والعشرين، دون أن يراعوا، ويعلموا، ويقتنعوا، أن سيرهم الخطأ والخرافي والضلالي، على طريق أسطرة[1] شخصية الرسول بكل السُبل، عن طريق تصوير قدراته الخارقة على ممارسة الجنس مع كل نسائه في ليلة واحدة، كما روى البخاري، الذي كذب في معظم ما رواه من أحاديث مدسوسة، وعن طريق قولهم على لسان الرسول، أن بول الجمل يشفي من أمراض معينة، وأن بعض الصحابة كانوا - تيمناً بشخصية الرسول - يشربون بوله. وأن عبد الله بن عمر بن الخطاب، ومعه مجموعة من الصحابة، كانوا يبولون حيث كان يبول الرسول. ومعنى هذا أنهم كانوا يتفرجون على الرسول وهو يبول، ويعرفون مكان بوله، حيث لا مراحيض داخل المنازل في ذلك الوقت، فكان الناس رجالاً ونساءً يبولون في البرية المكشوفة.

---

(١) أي جعلها أسطورة نادرة، لا مثيل لها.



تسخيف مستنكر للإسلام

ما هذا القرف ، وما هذا السخف ، وما هذه البهدلة لهذا الدين العظيم؟

ولماذا نزل فقهاؤنا ، وخاصة المصريون منهم ، ورجال الأزهر على وجه التحديد ، إلى هذا الدرك الأسفل من الإساءة للإسلام ، على هذا النحو؟!

وحتى لو كانت كل هذه الوقائع صحيحة ، وحصلت بالفعل ، وهي - إن صحّت - تمثل مجتمعاً كان قائماً قبل ١٥٠٠ سنة ، ولم يعد قائماً الآن في القرن الحادي والعشرين . وبذا ، فكل قيم ذلك المجتمع ، قد اندثرت واختفت ، مع اندثار واختفاء ذلك المجتمع ، فما فائدة إسلام اليوم . . إسلام القرن الحادي والعشرين ، من إثارتها ، واستعادتها على هذا النحو المقزز الآن؟

هل يحتاج الإسلام إلى سند من فقهاء الجهالة؟

هل بلغ الإسلام اليوم من الضعف والمهانة والمذلة ، بحيث أصبح فقهاء الظلام والجهالة ، يسندونه ، ويدعمونه بمثل هذه «الروافع» من التفاهات والسخافات ، التي لا ترفع من قدر الإسلام ، بقدر ما تصوره ديناً همجياً بدائياً ، أمام كارهيه ، ومحاربيه وأعدائه؟

لقد تحوّل إسلام القرن الحادي والعشرين في نظر هؤلاء الفقهاء ، إلى قاموس في علم البول والتبوّل ، وفي قيم أخلاق عصور همجية بدائية .



تفجير أحاديث كاذبة

في الأمس ، طلع علينا شيخ من فقهاء الجهالة والتضليل ، وهو عزت عطية رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر ، وفجّر مفاجأة أباح فيها للمرأة العاملة ، أن تقوم بإرضاع زميلها في العمل ، منعاً للخلوة المحرمة ، إذا كان وجودهما في غرفة مغلقة ، لا يفتح بابها إلا بواسطة أحدهما . وأكد عطية ، أن «إرضاع الكبير» ، يكون خمس رضعات ، وهو يبيح الخلوة ، ولا يُحرِّم الزواج . وأن المرأة في العمل يمكنها أن تخلع الحجاب ، أو تكشف شعرها أمام من أرضعته ، مطالباً توثيق هذا الإرضاع كتابةً ورسمياً ، ويكتب في العقد ، أن فلانة أرضعت فلاناً . وجيء بقصص عن السيدة عائشة بهذا الخصوص ، وهي قصص في رأيي ملفقة ، وإن كانت صحيحة فلسنا بحاجة لها اليوم ، وإنما هي من قيم مجتمع كان سائداً قبل ١٥٠٠ سنة!

ليست كل سلوكيات أهل البيت متَّبعة

فليس كل ما كان يقوم به النبي عليه السلام ، وأهله ، وأصحابه ، علينا الاقتداء به اليوم . ولو قام النبي عليه السلام من قبره اليوم ، ووقف على العصر ، وقيم هذا العصر الذي نعيشه الآن ، لنهانا عن تقليده أو العمل بكثير مما كان يقوله ، ويعمله في زمن رسالته ، قبل ١٥٠٠ سنة . ولقال لنا عليه السلام زماني زمان ، وزمانكم زمان آخر . فخذوا ما يصلح لزمانكم ، واتركوا ما ليس يفيدكم ، أو ينفعكم .



وقائع لا تصلح لأي زمان

لو عشتُ أيام الرسول ، وكنت من صحابته ، لرفضت علناً شرب بوله ، أو قوله بشفاء بول البعير من الأمراض ، ولفرضت التبوّل حيث كان يبول عليه السلام ، حتى ولو حكم عليَّ بعصيانه عليه السلام والاصطلاء بنار جهنم ، وبئس المصير . وللفتُ نظره عليه السلام ، إلى التنبيه أن مثل هذه الوقائع لا تصلح للأزمان القادمة ، بل هي ربما ستضر الإسلام ، فيما لو تمَّ العملُ بها مستقبلاً .

والرسول - عليه السلام - الحريص على سلامة الإسلام وصفائه ، سينهى عن العمل بمثل هذا ، أو تكراره في الزمن القادم ، فما بالك بزماننا هذا ، في ظل تبدل المجتمعات ، وتبدل كل القيم الاجتماعية والأخلاقية فيها؟

لوم السلطان الذي (يزعُ ما لا يوزَعُ بالقرآن)

إن اللوم كل اللوم على الدولة المصرية ، التي تقف متفرجة على تُرهات ، وخزعبلات ، وظلاميات بعض شيوخ الأزهر ، وعلى الإساءة للإسلام على هذا النحو .

ولكن الدولة المصرية لاهية عن الإسلام ، وتاركة الحبل على الغارب ، لانتشار الشعوذة ، والجهالة الدينية .

ولاحظوا معي ، أن معظم هذه التُرّهات ، والخزعبلات ، والظلاميات ، و«الهمبكة» الاجتماعية ، والدينية ، والسياسية ، تخرج هذه الأيام من مصر المحروسة ، ومن مشيخة الأزهر بالذات ، بدءاً من حجاب الفنانات ، وانتهاءً بإرضاع الكبير .



فألف خسارة على مصر محمد عبده ، وقاسم أمين ، وسلامة موسى ، وطه حسين ، ولويس عوض ، وتوفيق الحكيم ، وفرج فوده ، ونجيب محفوظ ، ونصر حامد أبو زيد ، وكل نجوم التنوير والحداثة ، الذين تركوا مصر مرتعاً لفقهاء الظلام والتضليل ، يفتون بإرضاع الكبير من ثدي الجهالة والتضليل ، بعد أن جفّت أثداء الحداثة والتنوير ، في مصر المحروسة .




مكتبة
الفكر الجديد

التيار الديني السياسي




مكتبة
الفكر الجديد

أسباب انتشار الأيديولوجيات المتطرفة

كمـا أن لأدوية مـعينة عـوارض جـانبـيـة ، ولكن لا بُدَّ من تعـاطي هذه الأدوية لكي نبـرأ مما نحن فـيـه ، ومما نعـانـي من أمـراض مـزمنة ، فكذلك هي الديمقـراطيـة ، التي أصـبـحت كالغزال الذي يطارد الصياد ، وليس الصياد الذي هو يطاردها . بمعنى أن الديمقراطيـة الآتيـة من الشرق أو من الغرب هي التي تطاردنا صـبـحـاً ومـسـاءاً ، ولسنا نحن من يطاردها . وهي التي تعشقنا ، ولسنا نحن الذين نعشقها ، وهي التي تعذبنا أكثر من أن تسعدنا ، وتفرحنا . وقد كنا قبل هلالها هانئين ، وقانعين ، ومستريحين . وببزوغ هلالها ، أصبحنا أشقياء ، متعبين ، ومحرومين .

عوارض دواء الديمقراطية

قلنا ، إن هناك عـوارضَ جانبـيـة لأدوية مـعينة ، ومنهـا دواء الديمقراطية المضاد لفيروسات الدكتاتورية الحزبية ، والعسكرية ، والدينية ، والقبلية المتفشية في العالم العربي ، كالأنفلونزا في فصل الشتاء البارد . ومن هذه العوارض :

١- ازدهار وانتشار الأيديولوجيات الدينية المتطرفة . وقد رأينا هذا الازدهار ، وذلك الانتشار لهذه الأيديولوجيات ، منذ



غزو العراق ٢٠٠٣ ، كرد فعل على حراك بعض الآليات الديمقراطية هناك ، كالانتخابات الحرة ، وإعلان الدستور الوضعي المدني ، والأخذ بنظام الفيدرالية . . الخ . فلم تتحرك الأيديولوجيات الدينية المتطرفة ، كما تحركت إثر هذه الأحداث في العراق .

٢- انتشار الإرهاب الديني المتطرف . فنتيجة لعدم وجود خطاب سياسي أصولي مقبول ، يمكن تطبيقه على أرض الواقع ، لجأت الأصولية الدينية المتشددة إلى العنف ، لإثبات وجودها على أرض الواقع .

٣- تصالح الأنظمة العَلْمانية العربية مع الأنظمة الدينية غير العربية ، وتحالفها تحالفاً استراتيجياً ، في وجه الخطاب السياسي الديمقراطي القادم من الغرب ، كما هو الحال بين سوريا وإيران . وكذلك مصالحة الأحزاب العَلْمانية مع الأحزاب الدينية كما هو الحال بين «حزب الله» الديني وبين «التيار الوطني» الحر العَلْماني المسيحي بقيادة ميشال عون .

٤- التدخل الأجنبي في شؤون العالم العربي . فبعد أن خرج آخر جندي أجنبي من العالم العربي عام ١٩٧٠ ، عادت القوات الأجنبية في عام ١٩٩١ ، وفي عام ٢٠٠٣ ، وازدادت القواعد العسكرية الأجنبية في منطقة الخليج خاصة .



أسباب ازدهار الأيديولوجيات الدينية

هناك أسباب كثيرة، دفعت الأيديولوجيات الدينية إلى الازدهار والانتشار في العالم العربي، منذ النصف الثاني من القرن العشرين، منها :

١- فشل الأيديولوجيات القومية واليسارية في مصر، وسوريا، والعراق، والجزائر، وجنوب اليمن، وارتكاب هذه الأيديولوجيات حماقات قاتلة كحرب ١٩٦٧ مع إسرائيل، وخسارة أجزاء مهمة من العالم العربي.

٢- رحيل الزعماء الذين قادوا الحركات القومية واليسارية أو الانقلاب عليهم، دون أن يحققوا لأوطانهم التي حكموها غير الخيبات والفشل، كما تمَّ في مصر الناصرية والجزائر أثناء حكم هواري بومدين، وسوريا أثناء حكم الأسد الأب، وفي العراق في عهد صدام حسين، وفي جنوب اليمن قبل الوحدة عام ١٩٩٠.

٣- تعريض الأحزاب الدينية في مصر وسوريا خاصة، لاضطهاد وملاحقات بوليسية كثيرة ومميتة، مما دفع بالكثير من عناصر هذه الأحزاب وبالذات «جماعة الإخوان المسلمين» إلى الهرب من مصر وسوريا، واللجوء إلى بعض دول الخليج التي فتحت أبوابها، وخزائنها، وصدورها، وإعلامها، ومعاهدها العلمية، لهؤلاء الهاربين. سيما وأنه، كان هناك خلاف سياسي وعقائدي بين دول الخليج وعلى رأسها السعودية، وبين الأنظمة الجمهورية الاشتراكية وعلى رأسها مصر وسوريا. فمنها ما كان مُعلناً،



ومنها ما كان مخفياً . كما ساهمت العلاقات العربية - السوفيتية المتينة ، والتحالفات مع بعض الأنظمة العربية ، والخوف من انتشار الشيوعية في العالم العربي ، في احتضان بعض الأنظمة الخليجية أعداداً كبيرة من هؤلاء الهاربين ، واستعمالهم كمنصات دينية إيديولوجية ، لإطلاق الدعوات والخطابات السياسية ، ضد الأنظمة القومية العَلْمانية واليسارية . ومن المضحك المبكي ، أن بعض دول الخليج وقفت في بعض الأحيان إلى جانب الماركسيين في جنوب اليمن ، ضد حكام الشمال اليمني . وفي الوقت نفسه وقفت إلى جانب الحكم الديني في أفغانستان ، المتمثل بحركة «طالبان» ، ضد الوجود العسكري السوفيتي في أفغانستان!

٤- وجود الحرب الباردة بين الغرب ومن يدور في فلكه ، وبين الاتحاد السوفيتي ومن يدور في فلكه أيضاً ، مما قسَّم العالم العربي أثناء الحرب الباردة إلى جبهتين : جبهة الاعتدال ، وتضم دول الخليج ، ومصر ، والسودان ، والأردن ، والمغرب ، وتونس ، ولبنان ، واليمن الشمالي . وجبهة اليسار (الممانعة) ، وتضم سوريا ، والعراق ، واليمن الجنوبي ، وليبيا ، والجزائر .

٥- عدم حلٍّ الصراع العربي - الإسرائيلي المتعلق بالقضية الفلسطينية حلاً عادلاً ، وتباطؤ الدول الغربية وعلى رأسها أمريكا ، في عدم الوفاء بوعودها بشأن إقامة الدولة الفلسطينية الموعودة ، مما دفع الأيديولوجيات الدينية المتطرفة



في العالم العربي إلى العنف في سلوكها مع هذه الدول . وهو ما شهدناه بعد ٢٠٠١/٩/١١ .

٦- تباين السياسة الأمريكية واختلافها فيما يتعلق بشئون الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية على وجه الخصوص . فيصف بول بيرمان المحلل السياسي في جريدة «النيويورك تايمز» هذه السياسة ، من خلال شخصيات الرؤساء الأمريكيين الذين تعاقبوا على الحكم في أمريكا خلال الأربعين عاماً الماضية . فيقول : « كان رؤساؤنا شيطانيين (ريتشارد نيكسون) ، وملائكيين (جيمي كارتر) ، ومثقفين أغبياء (رونالد ريغان) ، وواقعيين حذرين (جورج بوش الأب) ، وجذابين على نحو رائع (بيل كلينتون) ، وغير ذلك (جورج بوش الابن) . وكانت سياسة كل رئيس تجاه الشرق الأوسط تتأثر بشخصيته وطباعه .

٧- اعتقاد الغرب عامة وأمريكا خاصة ، أن العمل العسكري وحده ، يمكن أن يهزم الأيديولوجيا الدينية اليمينية . وهو الخطأ الكبير الذي ارتكبته السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط التي واجهت الأيديولوجيات بالدبابات ، وواجهت حشوات العقول بالأساطيل . واعتبرت أن القوة العسكرية هي التي تنزع ما في الرؤوس من أفكار ومعتقدات . فرغم دعم أمريكا في عهد ريغان لصدام حسين في حربه ضد الأيديولوجيا الدينية الإيرانية ، إلا أن صدام لم يستطع خلال ثماني سنوات ١٩٨٠-١٩٨٨ من الحرب العراقية - الإيرانية أن ينتصر على ثورة الخميني . كذلك حاول



كلينتون أن يضرب الأصوليين في السودان عام ١٩٩٨ إلا أنه فشل ، وكان ابن لادن قد غادرها عام ١٩٩٦ ، بعد أن عرضه السودان على أمريكا فرفضته .

٨- أدى وقوف التيار الليبرالي الغربي إلى جانب التيار الليبرالي العربي ، إلى اتهام هذا التيار بالتعامل مع الغرب ، ووصل الأمر إلى حد تكفير هذا التيار ، وإخراجه من الملّة ، وعلى رؤوس الأشهاد . مما اضطر أعلام هذا التيار إلى الهجرة إلى الغرب خوفاً من بطش التيار الأصولي الديني . ولذلك قامت دعوة شعبية ورسمية في العالم العربي ، للتركيز على التفكير وليس التكفير ، الذي لا يجدي غير العداوات والعنف . وكم من مرة اتُهم فيها التيار الليبرالي في العالم العربي ، بأنه عبارة عن دُمية في أيدي «المحافظين الجُدد» ، علماً أن هناك فروقات وتناقضات أيديولوجية بين الليبراليين وبين «المحافظين الجدد» ، كان قد شرحها وبينها بعض الليبراليين .(١)

٩- غنى وثروة التيار الأصولي مادياً وإعلامياً ، مقابل الفقر المادي للتيار الليبرالي . فالتبرعات الحكومية والشعبية تنهال على الحركات الأصولية من كل حدب وصوب ، كذلك يُفسَح للتيار الأصولي مساحات كبيرة في الإعلام الرسمي وغير الرسمي ، لاعتقاد بعض الجهات أن هذا

---

(١) أنظر : شاكر النابلسي ، «الليبراليون الجدد .. جدل فكري» ، دار الجمل ، بيروت ، ٢٠٠٥



الدعم هو في حقيقته دعم للإسلام ذاته ، وهو الشرعية التي تستمد منها معظم الأنظمة العربية شرعيتها . وهذا كله ، جعل صوت الأيديولوجيات الأصولية عالياً ، وأكسبها شهرة وشعبية - ولو مؤقتة - في الشارع العربي .

١٠- وأخيراً ، فإن السياسة الأمريكية الخارجية في الشرق الأوسط ، قد ساهمت إلى حد كبير في دخول الأيديولوجيات الأصولية المتطرفة عصرها الذهبي ، كما قال بول بيرمان الكاتب الأمريكي في «النيويورك تايمز» من أن «العديد من الناس يتبنون الافتراض المنطقي القائل ، بأنه إذا كانت الأيديولوجيات المتطرفة قد دخلت في السنوات الأخيرة نوعاً من العصر الذهبي ، فإن الأخطاء الفادحة ، والمتوقعة ، التي ارتكبتها إدارة بوش في العراق هي المسئولة عن ذلك . وهو كلام صحيح لا شك فيه ، غير أن ذلك ليس التفسيرَ الوحيد .»

دور التعليم الديني

شاعت بعد كارثة ٢٠٠١/٩/١١ مقولة وجود دور كبير للتعليم الديني المتشدد في زيادة ورفع وتيرة الإرهاب في الشرق الأوسط والعالم كله . وانصبت الأبحاث والتقارير على المناهج الدينية المتشددة في دول الخليج خاصة . واعتُبرت هذه المناهج وسيلة لغسل أدمغة التلامذة والطلبة يومياً بالهوس بالماضي ، وبعداء المرأة ، وعداء غير المسلم ، وعداء العقل ، وكذلك الحداثة .



وقال مؤيدو ومروجو المقولة السابقة ، إن التعليم الديني المتشدد يقوم بالترويض ؛ أي بالتطويع النفسي للتلميذ والطالب ، ليتصرفا وفق ما ينتظره مروضهما منهما ، بتحويلهما إلى ببغاء ، يقول ما قيل له . وهذا متعارض مع دور التعليم الحداثي ، كما تَصَوَّرَهُ فيلسوف «الأنوار» الفرنسي كوندورسيه CONDORCET . وهو تكوين شعب صعب الانقياد ؛ أي تربى على التفكير بنفسه ، والنقاش المتعارض ، ومقارعة البرهان بالبرهان ، والفكر النقدي ، الذي يُسائل الأطروحات والمقترحات عن شرعيتها العقلانية .

كذلك ، قال مؤيدو المقولة السابقة ، إن التعليم الديني المتشدد يقوم بالتلقين ؛ أي الاغتصاب النفسي ، وتحفيظ النصوص الدينية ، الذي يعيق العقل عن التفكير الشخصي فيها . فالحفظ ، يستبعد الفحص النقدي والموضوعي العلمي . ويصبح تأثيره أقرب ما يكون إلى تأثير الإعلام الموجَّه ، يتشربه اللاشعور كعادة ذهنية تلقائية ، وكمُسلَّمة مستغنية عن البرهان .

ويمضي مؤيدو المقولة السابقة في نقدهم لمناهج التعليم الديني المتشدد ، فيقولون إن التعليم الديني المتشدد يرعى التعصب ، بما هو خوف هستيري من إدخال النسبية على الحقائق التراثية ، وتشبّث عُصابي باليقين المطلق والمغلق ، عن كل نقاش ، وتجريم وتكفير للرأي المخالف . ولا يوجد في نظر المتعصب إلا رأيان مانويان : أحدهما صحيح مطلقاً ، والآخر خاطئ مطلقاً . كما يُرسّخ التعليم الديني المتشدد العداء للمرأة ،



والعداء لغير المسلم «الكافر . وإبقاء «الكافر» ، شعورياً أو لا شعورياً ، ذمياً أبدياً ، محروماً من حقوق المواطنة . وباختصار ، هذا التعليم يجعل الأجيال الصاعدة ، تتشرب ، أن العقل غير جدير بالثقة . وأن الثبات لا التطور هو سُنّة الله في خلقه .

وبدأت تصدر فتاوى دينية بعد كارثة ٩/١١ ، من هنا وهناك . وامتلأ الإعلام العربي بهذه الفتاوى وبالردود عليها ، من قِبل مخالفيها بالرأي . ولكن بعض الكُتّاب في الصحافة العربية من المدافعين عن التعليم الديني المتشدد ، روّجوا الحيلة قائلة ، إن فتاوى إهدار الدماء ، لا تصدر إلا عن «شبان لم تساعدهم دراستهم على التعمق في الدين . والخلاصة ، أن المناهج الدينية التي لا تسمح لطلبتها بالدراسة الكافية للدين هي المسئولة عن الإرهاب . وإذا كنتم تريدون التخلص من العنف الديني ، فضاعفوا ساعات التعليم الديني .»[1] وقد ابتلع الجميع تقريباً طُعم هذا الخطاب ، الذي كان محرِّضاً على توسيع دائرة فاعلي وجمهور الإرهاب ، باسم الإسلام .

وكان الرد على هذه المقولة المتهافتة في الأسئلة التالية ، على لسان المفكر التونسي الليبرالي العفيف الأخضر :

- هل الشيخ عمر عبد الرحمن الحاصل على دكتوراه في علوم الشريعة من الأزهر ، والذي أفتى بقتل فرج فوده ، ونجيب محفوظ ، والسادات ، وتفجير مركز التجارة العالمي ، والمحكوم عليه بالمؤبد ، ينقصه التكوين الديني؟

---

(١) فهمي هويدي ، جريدة «الشرق الأوسط» ، ٢٠٠٤/٢/١٥ .



- وهل الشيخ محمد الغزالي القيادي في الإخوان المسلمين، والمؤلف لعشرات الكتب الدينية، التي تعتبر مرجعاً لا غنى عنه، تنقصه المعارف الإسلامية، عندما طالب بإطلاق سراح قتلة فرج فوده، لأنهم نفّذوا حدَّ الردة فيه؟

- وهل حسن الترابي، الذي أفتى بشنق المفكر الإسلامي محمود طه، ينقصه التكوين الديني؟

- وهل راشد الغنوشي الذي يرأس تنظيمه الإسلامي (حركة النهضة) منذ أكثر من ٣٠ عاماً، والذي أفتى بشرعية قتل السادات، ووجوب قتل جميع الحكام المسلمين لأنهم «لم يعودوا منا» بل هم «متمردون على شريعة الرحمن وإرادة الشعب. وهم في الحقيقة أولياء الشيطان، وأذناب أعداء الإسلام.»[1] ينقصه هو أيضاً التكوين الديني الصحيح؟[2]

رأي غربي يقول بالتهافت

ولكن الجديد في هذا الموضوع، أن طلع علينا في الغرب من يقول أيضاً بتهافت دور التعليم الديني المتشدد في نشر الإرهاب. فهناك الآن رأي غربي مبني على مسح اجتماعي

---

(١) راشد الغنوشي، «الحريات العامة في الدولة الإسلامية»، ص ١٨٣، بيروت، ١٩٩٣.

(٢) العفيف الأخضر، «رهانات التعليم الديني التنويري ثلاثة: رد الاعتبار للآخر، وللمرأة، وللعقل»، حوار أجراه المختار عماري، جريدة «الأحداث المغربية»، ٢٠٠٣/٨/١٠.



علمي وواقعي، وعلينا أن نأخذه بتحفظ شديد، ولا نفرح به كثيراً. فقد كتب بيتر بيرجن[1] وسواتي بانيد[2] يقولان:

«للتأكد من مدى إسهام المدارس الدينية التقليدية في تفريخ الإرهابيين، قمنا بدراسة المسار الدراسي لخمسة وسبعين إرهابياً من الذين نفذوا أهم الهجمات الإرهابية ضد الغرب. وقد وجدنا أن معظم هؤلاء حصلوا على شهادات جامعية، خصوصاً في المواد التقنية كالهندسة. وفي الهجمات الأربع التي نتوفر فيها على معلومات وافية عن المستويات الدراسية لمنفذي تلك العمليات، وهي على التوالي تفجير مركز التجارة العالمي في ١٩٩٣، والاعتداءات على السفارتين الأمريكيتين في كينيا وتنزانيا في ١٩٩٨، وهجمات ٢٠٠١/٩/١١، ثم تفجيرات بالي سنة ٢٠٠٢، وجدنا أن ٥٣٪ من الإرهابيين قد درسوا في الجامعة، أو حصلوا منها على شهادات. ويُذكر أن ٥٢٪ فقط من الأمريكيين يلتحقون بالجامعات. وهو ما يدفعنا للاعتقاد أن هؤلاء الإرهابيين الذين شملتهم الدراسة، لا يقلّون في المتوسط عن العديد من الأمريكيين، فيما يخص المستوى الدراسي.»[3]

(١) زميل في مؤسسة «أمريكا الجديدة».

(٢) باحثة مشاركة في المؤسسة نفسها.

(٣) جريدة «الوطن» السعودية، ٢٠٠٨/٤/٥.



أسطورة المدارس الدينية العتيقة

وقال هذان الباحثان :

«إذا نظرنا عن كثب إلى الهجمات الإرهابية ، سنجد أن جميع الإرهابيين الضالعين في تفجير مركز التجارة العالمي في ١٩٩٣ ، حصلوا على شهادات جامعية . كما أن جميع الطيارين الذين شاركوا في هجمات ١١ سبتمبر بالإضافة إلى المخططين الأخرين الذين كشفت عنهم لجان التحقيق في تلك الأحداث ، تخرجوا في الجامعات الغربية ، وهو مسعى لا تسلكه إلا النخب في الشرق الأوسط . والأكثر من ذلك تُفاجئنا التحقيقات أن محمد عطا ، وهو الطيار الرئيس المسئول عن هجمات ١١ سبتمبر ، حاصل على شهادة من جامعة ألمانية في تخصص الصيانة المدنية ، بينما سبق لخالد الشيخ مخطط عمليات ١١ سبتمبر أن درس الهندسة في جامعة كارولينا الشمالية . وزادت دهشتنا أكثر عندما اكتشفنا أن ثلثي الإرهابيين الذين قاموا باختطاف الطائرات في ١١ سبتمبر وتفجيرها ، سبق وأن التحقوا بالجامعات .

ومن ضمن ٧٥ إرهابياً خضعوا للدراسة التي شملت مسارهم الدراسي ، لم نعثر إلا على سوى تسعة إرهابيين ، ممن درسوا في المدارس الدينية ، وهم لم يشاركوا إلا في عملية واحدة نفذت في بالي . ولن نندهش إذا عرفنا ، أنه حتى هذا الاعتداء كان وراءه مخططون حصلوا على شهادات جامعية ، بمن فيهم محاضران في الجامعة .

وربما يرجع سبب الركون إلى تلك الفرضية القائلة إن المدارس



الدينية تُشكِّل حاضنات لتفريخ أجيال من الإرهابيين ، إلى تلك الفكرة الخادعة والمخدرة ، عن أن من ينفذون تلك العمليات ضدنا هم أناس جهلة ، لا يفكرون ، وليسوا خريجي جامعات كما هو عليه الحال في أغلب الأحيان . والأكثر من ذلك ، كشفت الدراسة ، أن اثنين منهم حصلوا على شهادة الدكتوراه من جامعات غربية ، واثنين آخرين ، كانا في طريقهما للحصول عليها . إلى ذلك يجدر الذكر ، أن هذه الفرضية ، تشبه تلك التي تفيد أن الفقر هو المسئول عن الإرهاب ، وهو ما أثبتت الدراسات عدم صحته .» (١)

وقد أثارت دراسة موّلها البنك الدولي ، المزيد من الشكوك حول التأثير الفعلي للمدارس الدينية في باكستان ، وهو البلد الذي يُعتقد أن المدارس الدينية تلعب فيه دوراً كبيراً في تأجيج المشاعر المعادية للولايات المتحدة . وقد كشفت هذه الدراسة ، أن عدد الطلبة المنتسبين إلى المدارس الدينية لا يتعدى ١٪ ، وذلك عكس ما أظهر تقرير لجنة التحقيق في أحداث ١١ سبتمبر ، بالإضافة إلى صحف عديدة ، من أن ١٠٪ من الطلبة في باكستان يدرسون في تلك المدارس . وإذا كانت هذه النسبة صحيحة ، فإن ذلك يعني أن عدد الطلبة الأمريكيين الذين يفضل آباؤهم تدريسهم في المنازل ، هم أكثر من عدد الطلبة الباكستانيين ، الذين يرسلهم آباؤهم إلى المدارس الدينية .

---

(١) بيتر بيرجن وسواتي بانيد ، «أسطورة المدارس الدينية العتيقة» ، «نيويورك تايمز» ، ٢٠٠٥/٧/٢ .




مكتبة
الفكر الجديد

في أزمة التيار الديني

في الربع الأخير من القرن العشرين، ومطلع القرن الحادي والعشرين، انشغل التيار الديني عموماً، في العالم العربي بقضايا ليست أساسية جداً، في حياة الفرد العربي. وانهمك هذا التيار بقضايا لا تستحق منه كل هذا الجهد، وهذا الانهماك، وترك القضايا الأساسية كقضايا الحرية، والديمقراطية، وحقوق المرأة، والفساد المالي والإداري جانباً.

فكان موضوع الحجابِ - على سبيل المثال لا الحصر، وهو الموضوع الذي يتخذه بعض الفقهاء طريقاً لإذلال المرأة وتطويعها دينياً - من القضايا الرئيسية عند هذا التيار.(1) فتحدث في

---

(1) يقول عالم النفس التونسي/الفرنسي فتحي بن سلامة في مقابلة مع مختار الخلفاوي (موقع «الأوان»، ٢٠١٠/١٢/٢٦): ليس المسلم، وحده، المذعور أمام جنسانيّة المرأة. الحالة عامّة. لقد بدت جنسانيّة غامضة شيطانيّة، منذ المسيحيّة التي أحرقت ساحراتها. كان التحليل النفسيّ في أوروبا أحد الأفكار التي قادت إلى التخلّص من هذا الخوف من جنسانيّة المرأة. ثمّ، أدّى تطوّر المجتمعات الحديثة، والمساواة في الحقوق على وجه الخصوص إلى ألفة الجنسانيّة الأنثويّة، بالرغم من حدود تلك الألفة على مستوى السلوك. ولكنّ الكَشف عن الجسد الأنثويّ ==



هذا الموضوع مئات الدعاة الدينيين المُسيَّسين . وأُلفت في موضوع الحجاب عشرات الكتب ، خاصة عندما أُثيرت مسألة الحجاب في فرنسا في عهد الرئيس السابق شيراك ، عام ٢٠٠٦ .

كُتبُ الحِجاب أكثر من كُتبِ الديمقراطية

فالعرب والمسلمون خلال ١٥ قرناً مضت ، لم يهتموا كثيراً بأمر الحجاب . ولم ينهمك رجال الدين وفقهاؤه ، كما انهمكوا في هذه الفترة بموضوع الحجاب ، حتى إن منهم من ألّف كتباً كاملة حول موضوع الحجاب ، كما فعل الباحث المصري جمال البنّا ، الذي انهمك في موضوع الحجاب ، وانتهى فيه إلى أن الحجاب فُرض على الإسلام ولم يفرض الإسلام الحجاب . وأصبح سوق الحجاب هو الرائج كملابس ، وأغطية رأس ، وأزياء ، وأحاديث تلفزيونية ، ومقالات ، وندوات ، وأشعار ، وكتباً . فكتب الشيخ السعودي ابن العثيمين كتاباً آخر ، نقض فيه ما قاله البنّا ، وأكد فيه أن الحجاب من صُلب العقيدة الإسلامية . وأثنى عليه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بكتاب آخر عن الحجاب . وتبعه الشيخ خالد العنبري بكتاب

= حولّه ، أيضا ، إلى سلعة في الفضاء العموميّ . نحن ، هنا ، في صورة عكسيّة لما جرى في الإسلام ، حيث كان عزل الجسد بالحَجْب ينعش غموضا قد يغري حتّى بعض النسويّات .



آخر عن الحجاب، وأثنى عليه بكر أبو زيد بكتاب.(١) وظهرت عشرات الكتب عن الحجاب، كما لم تظهر في أي عصر من عصور النور، أو الظلام.

وفكّرتُ أنا، أن أكتب كتاباً عن الحجاب بعنوان: (غرام الأحباب في ارتداء الحجاب). ولكني اكتشفت أن العشرات من «الفقهاء» كتبوا كتباً قيمة فيه، وسوف لن تكون لكتابي قيمة تُذكر.

وبلغ الهذيان في موضوع الحجاب - كآخر قلعة باقية من قلاع العفّة العربية المتهاوية- أن اعتبرت خيرية الحارثي الداعية الدينية السعودية، أن تدريس كتاب (الحجاب) لابن عثيمين في المدارس السعودية، من أساس إصلاح نظام التعليم السعودي لأهمية وعظمة الحجاب، وأنه من الأمور الدينية التي لا يمكن التنازل عنها، مع بيان تاريخ الحجاب في الدول الإسلامية، وكيف كان، وكيف أصبح بفعل «المؤامرة على المرأة المسلمة» كجزء من مشروع استعماري شامل، لتغيير وجه الحياة في البلدان العربية، واقتلاع المجتمع الإسلامي من جذوره.(٢)

نواقض الوضوء أهم من حدود الحاكم

كان بعض الباحثين من التيار الإسلامي يعتقد، أن شعار

(١) «حراسة الفضيلة».

(٢) جريدة «المدينة» السعودية، ١٦/٤/٢٠٠٧.



فصل الدين عن الدولة[1] شعار أوروبي وبضاعة محلية للغرب، ولا سوق لها في بلادنا، ولا حاجة لنا فيها. وأن المطالبة من قبل العَلْمانيين الليبراليين والماركسيين والقوميين بفصل الدين عن الدولة، إنما كانت لأسباب كثيرة منها جمود العُلماء على النصوص الجوفاء والاهتمام بنواقض الوضوء أكثر من اهتمامهم بحدود الحاكم، وسيره على الجادة، وانصياعه لأوامر الله. كما كان اهتمامهم بنواقض الوضوء أكثر بكثير من اهتمامهم بمشكل المسلمين الاقتصادية ونظام المال، وأكثر بكثير من اهتمامهم بتربية النشء، وفتح آفاق الفكر الإنساني والعلمي أمام الفكر الإسلامي، كي يمضي في تفوقه واجتهاده.

الإسلام والتقدم

ويرى بعض المفكرين الإسلاميين الليبراليين كاللبناني رضوان السيّد أن المسلمين اليوم، لا يرون أن هناك ديناً ودنيا، بل هناك دنيا أو عالم، يملك الإسلام تصوراً لطريقة العيش فيه، أو الحياة بين جنباته. وأن الإسلام عندما يتحوّل إلى دولة فإنه يَحكم، لكونه دين دعوة يطمح بتصوره أو نهجه هذا، أن يشمل العالم. ويقول هؤلاء أن عدم قيام دولة دينية في العصر الحديث، لا يعني إن الإسلام يقف في وجه التقدم. وأن «غالبية المسلمين لا تزال تعيش شرعتها وأعرافها النابعة منها،

---

(١) العلمانية - ما عدا الفرنسية - تطالب بفصل الدين عن الدولة، وليس عن المجتمع. وهذا ما هو معمول به في أمريكا الشمالية مثلاً.



وتخطئ مجموعات منها أو تصيب، لكنها لم تفكر يوماً أن سحب الإسلام من دنياها، يجعلها تتقدم.»[1]

أسباب تاريخية لقيام الدولة الإسلامية

ويرى المصلح والمفكر الديني/ السياسي المصري خالد محمد خالد - الذي نادى بفصل الدين عن الدولة في العام ١٩٥٠،[2] واعتُبرت هذه المناداة بمثابة حافز للمفكرين الإسلاميين للبحث عن ضرورة تقديم صيغ فعّالة لحل المشكلة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، في الإسلام الحديث. ثم تراجع عن أفكاره فيما اعتبره مراجعة في العام ١٩٨١.[3] وقال إن دواعي ومبررات قيام الدولة الإسلامية، تتلخص في أسباب تاريخية، منها:

١- أن العرب قد عرفوا الدولة والحكومات قبل الإسلام، وعندما جاء الإسلام أمكنهم من ممارسة هذه التجربة بنجاح.
٢- كان الرسول عليه الصلاة والسلام، يدرك أن بناء الدولة الإسلامية واستمرارها جزء من مهمته كنبي وكرسول.
٣- أجمع معظم قادة الفِرق الدينية على وجوب تنصيب

(١) «الإسلام المعاصر»، ص ٢١٩.

(٢) في كتابه الشهير «من هنا نبدأ»، ١٩٥٠.

(٣) في كتابه «الدولة في الإسلام».



«الإمـام» ؛ أي قيـام الدولة التي ترعى شـؤون الإسـلام والمسلمين .

٤- أن الإسـلام كـدين ودنيـا ، لا يعـرف الفـصل بين الدين والسـيـاسـة ، بل هو يدفع المسلمين إلى دائرة الاهتمـام بالسياسة عملاً بقول الرسول عليه الصلاة والسلام : «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» .

لا جديد تحت الشمس

وهذه الحقائق التاريخية التي ساقها خالد محمد خالد ، كمبرر لوصل الدين بالدولة ، كانت موجودة منذ مئات السنين ، وقبل العام ١٩٨١ ، الذي صدر فيه كتابه «الدولة في الإسلام» ، ولم يطرأ عليها أي تغيير . ولكن التيار الفكري العربي - كما يقول المفكر المصري محمد عمارة - بدأ خلال فترة الربع الأخير من القـرن العـشـرين ، يتلمس طريقـه من خـلال النظام الإسـلامي ، ومن خلال تيار بدأ يُرسّخ الأفكار التي كانـت تُردد أن «الإسـلام لم يدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله . ولم يعتزل أمور الدولة والسياسة ، ولكنه في الوقت نفسه ، لم يضع لدولة المسلمين النظم والقوانين والنظريات ، وإنما اتخذ لنفسه موقفاً وسطاً من كل هذا . فترك الدين ، للعقل والتجربة وضع النظم والقوانين . وقام الدين بوضع الفلسفة والمُثل .»(١)

---

(١) «العَلْمانية ونهضتنا الحديثة» ، ص٢٦ .



تسييس النصوص المقدسة

يلجأ بعض المفكرين من التيار الإسلامي ، ومنهم محمود الكردي في كتابه «مأساة الخلافة» - إلى ليّ عنق النصوص ليّاً قسرياً يناسب إجراءات الحاكم في تطبيق آليات الحكم . وقد وُصِفَ هذا الاجتهاد لمحمود الكردي من قبل مجلة «الفكر العربي» الصادرة عن مركز «الإنماء العربي» في بيروت ،[1] بأنه «تحدي الواثق الذي يخوضه مجتهد جديد مع كل ما سبقه من الفقهاء والمجتهدين» وذلك لمطابقة التفسير الجديد للاستخلاف في الأرض ، مع النظرية العالمية الثالثة التي جاء بها القذافي .[2]

ففي ليبيا ، حيث يتم الحكم بالمجالس الشعبية والجماهيرية ، يقوم الباحثون الإسلاميون باستنباط جذور لهذه الآليات السياسية من التاريخ السياسي الإسلامي قسرياً . فيقوم هؤلاء بنقض نظرية الخلافة الإسلامية المتمثلة في الحاكم ، وبالتركيز على أن الآيات التي قالت بالاستخلاف في الأرض ، إنما كانت تعني استخلاف الناس والجماهير وليس الحاكم . وأن استنباط الشكل الجماهيري للسلطة من متن الشريعة الإسلامية سهل ، غير عسير ، وغير غامض . ويقولون ، إن الاستخلاف مستمد من الخلافة العامة للإنسان على الأرض ، وليس من استخلاف

---

(١) يُذكر أن هذا المركز كانت تموّله ليبيا .

(٢) أنظر : سليم إسكندراني ، في عرضه لكتاب محمود الكردي «مأساة الخلافة» ، مجلة «الفكر العربي» ، ع٣٥/٣٦ ، ص٢٦٧ .



الخاصة . وهذا يطابق ما قاله القذافي في «الكتاب الأخضر» ، من ضرورة الاستخلاف المباشر للجماهير على السلطة ، وليس استخلاف ممثليهم . وهذا ما هو قائم في النظام السياسي السويسري الحالي .

تيارات إسلامية مختلفة

ومن خلال هذا العرض ، لآراء التيار الإسلامي في العالم العربي لعلاقة الدين بالدولة ، نستطيع أن نتبيّن ، أن في العالم العربي والإسلامي عدة تيارات مختلفة ، تقول بعلاقة الدين بالدولة ، ومن هذه التيارات :

١- التيار السلفي المتشدد ، وهو الذي ينادي بنبذ كل مظاهر الدولة الحديثة ، من دستور موضوع ، وانتخابات تشريعية ، ومجالس للشعب ، وغير ذلك من الآليات ، واعتماد مظاهر وآليات دولة النبي والخلفاء الراشدين في المدينة . ومن دعاة هذا التيار أسلاف الشيخ محمد عبد الوهاب في السعودية وقطر ، والجناح اليميني المتشدد في حركة الإخوان المسلمين (سيّد قُطب) ، ومعظم الجماعات الإسلامية المصرية والجزائرية المتشددة . ويقول المفكر المصري الراحل فؤاد زكريا (١٩٢٧-٢٠١٠) إن دعوة «الإسلام دين ودولة» التي تدافع عنها هذه الجماعات ، والتي هي أساس خصومتها مع أنظمة الحكم القائمة ، تتناقض تناقضاً صارخاً مع ممارسات هذه الجماعات الإسلامية نفسها . فهذه الممارسات عندما بلغت ذروتها ،



وتحققت على أكمل نحو، لم تتجاوز نطاق اغتيال الحاكم (أنور السادات) لأسباب شعائرية شكلية.[١]

٢- التيار السلفي المنفتح، وهو الذي ينادي بربط الدين بالدولة، ولكنه في الوقت نفسه على استعداد للقبول بآليات الدولة الحديثة، كالدستور، شريطة أن يتماشى وأحكام الشريعة الإسلامية. كما يقبل بالانتخابات التشريعية كآلية حديثة، بدلاً من البيعة. ويقبل بمجالس الشعب والبرلمانات الحديثة، بدلاً من مجالس الشورى المُعيَّنة. ومن دعاة هذا التيار «جماعة الإخوان المسلمين»، وبعض الجماعات الإسلامية في تونس، والأردن.

٣- التيار الشيعي، وهو الذي ينادي بوصل الدين بالدولة على الطريقة الخمينيَّة في إيران. وهم الذين ينادون بولاية الفقيه من غير قريش، ومن غير آل البيت. ويضعون دستوراً إسلامياً من خلال الشريعة، ويجرون الانتخابات التشريعية، ولكنهم لا يسمحون بقيام معارضة، أو أحزاب معارضة. ومن دعاة هذا التيار في لبنان «حزب الله»، و«حركة أمل».

٤- الاتجاه الديني القومي، وهو الذي ينادي بتطبيق الشريعة الإسلامية، وبالتأكيد على أن دين الدولة الإسلام، ولكنه لا يسعى للوحدة الإسلامية بقدر سعيه للوحدة العربية، أو الوحدة الإفريقية. ويتخذ الدين سلاحاً ضد

---

(١) «مستقبل الأصولية الإسلامية»، مجلة فكر، عدد٤، القاهرة، ١٩٨٥.



الجماعات الإسلامية ، ولكبح شهوتها الجامحة للوصول إلى الحكم ، ومثاله نظام الحكم في الأردن ، وليبيا ، وسوريا ، ومصر .

إحراج منطقي حاد

ولعلنا نكتشف هنا ، أن المفكرين الإسلاميين مواجهون بإحراج منطقي حاد . وهذا الإحراج يتمثَّل في التالي :

١- فهم إما أن يقوموا بالدعوة لإقامة الدولة الإسلامية على أساس مبادئ خلقية عامة مستقلة عن الظروف الثقافية للبشر ، وفي هذه الحالة لا تُعتبر الدولة إسلامية لأن المبادئ الخلقية العامة ، ليست من خصوصيات الإسلام .

٢- وإما أن يقوموا بالدعوة لإقامة هذه الدولة على أساس مستمد من الإسلام الثقافي ، وفي هذه الحالة يصعب قيام هذه الدولة ، لأن مبادئ الإسلام الثقافي من خصوصيات الإسلام الكوني (للناس كافة) . وقيام دولة كونية في الوقت الحاضر على أساس من مبادئ الإسلام الكونية ، يكاد يكون مستحيلاً . وذلك هو المأزق الأكبر .

مطلوب قضايا أكثر جدية

لقد شغلَ جدلُ علاقة الدين بالدولة حيزاً كبيراً من مساحة الفكر العربي . ولقد استطاع سيّد قُطب ، وأبو الأعلى المودودي ، وأبو الحسن الندوي ، ومتولي الشعراوي ، والسباعي ، والجندي ، ومحمد الغزالي ، ويوسف القرضاوي ، وغيرهم كثير ، إشغال



الفكر العربي الليبرالي المعاصر وصرفه عن الاهتمام بقضايا أكثر حيوية وأكثر جدية ومصيرية كمشاكل التعليم، والتنمية، والقضاء على الأميّة، وتدعيم الأسس الديمقراطية، ومحاربة الخرافات، وحقوق المرأة، وخلاف ذلك. وانغمس الفكر العربي الليبرالي المعاصر كذلك في قضايا لا طائل من ورائها، ولم ينته الجدل فيها، ولن ينتهي ما دامت الشهوة السياسية الجامحة في نفوس من يربطون بين الدين والدولة، وينادون بالدين السياسي. «فليست غريبة عن التاريخ هذه الهجمة الاختزالية التي تضع الأخلاق والدين مكان السياسة والمجتمع والاقتصاد، وتحيل اليوم إلى الأمس المُصاغ بدوره على صورة نماذج لا حياة فيها، ولا واقع.»(١)

(١) عزيز العظمة، «العَلْمانية من منظور مختلف»، ص ٣٢٣.




مكتبة
الفكر الجديد

ماذا لو حكم فقهاء السياسة الدينية؟

الدراما التراجيدية الكوميدية السياسية العظيمة ، التي حصلت على مسرح غزة ، وقامت بتمثيلها عناصر من «حماس» ومن تأليف وإخراج خالد مشعل وإسماعيل هنيَّة ، هي أبلغ وأنفع مستويات الدراما السياسية العربية ، التي عُرضت على المسرح السياسي العربي في العصر الحديث ، حتى الآن .

فلو استمر الكتاب والمثقفون والمفكرون العرب العَلْمانيون يكتبون ليلاً ونهاراً عن «كارثة الحكومة الدينية» ، ولو استمرت المواقع الانترنتيّة الليبرالية تُعلّق في كل ساعة عل مصائب الدولة الدينية ، ولو استمرت الفضائيات العربية الليبرالية - على ندرة وجودها - بثّ وإذاعة كوارث الدولة الدينية على مدار الساعة ، في برامج ، وأحاديث ، ومقابلات ، وندوات تشرح خطورة ، وخطأ ، ومصيبة ، وكارثة الحكومة الدينية ، لما استطاعت إلى ذلك سبيلاً . وهو ما فعلته «حماس» ، في غزة .

هدية للفكر العَلْماني الليبرالي السياسي

لقد أدت «حماس» بعرضها لهذه الدراما التراجيدية الكوميدية البارعة ، أكبر خدمة ، وقدمت أكبر هدية للفكر



العَلْماني الليبرالي السياسي في العالم العربي . وأعلمت من كان جاهلاً ، وفتحت عيني من كان أعمى عن الحقيقة ، وأفهمت من كان مغفلاً ، وأقنعت من لم يكن مقتنعاً ، وكشفت بكل وضوح وصراحة عن حقيقة الدولة الدينية ، وعن حقيقة «حماس» التي تبيَّن - حسب بيان «الإخوان المسلمين» - أنها جزء من تنظيم «الإخوان المسلمين» العالمي ، ولهذا كان موقف المرشد العام للإخوان المسلمين في مصر ، موقف الرافض لحكومة الطوارئ التي شكّلها سلام فياض في ٢٠٠٧ ، من مجموعة من المستقلين الفلسطينيين . ونالت آنذاك ، تأييد وثقة العرب والغرب ، خلال أقل من ٢٤ ساعة من إعلان تشكليها .

التجربة أكبر برهان

قلنا منذ البداية ، يا ناس ، يا عالم ، دعوا دعاة الدولة الدينية يحكموننا ، ولو لسنة واحدة ، كما فعلت «حماس» ، لكي يحققوا على أرض الواقع ، شعار «الإسلام هو الحل» . ولكي نرى كيف سيطعمون الجائعين ، ويجدون عملاً للعاطلين ، وينشرون الأمن والأمان ، ويبنون الدول ، ويطبّقون شعارهم الرنّان الطنّان : «الإسلام هو الحل» . دعوهم يحكموننا ، لكي يقتنع العرب ، أن لا عدالة ، ولا حداثة ، ولا دعم دولياً وشرعياً ، إلا بحكومة عَلْمانية تفصل الدولة عن الدين . فهذا هو الواقع شئنا أم أبينا ، رضينا أو رفضنا . فالعالم كله أصبح عَلْمانياً ، من شرقه إلى غربه ، ومن شماله إلى جنوبه . وكما كان العالم كله دولاً دينية في القرون الوسطى من إسلامية ومسيحية ، فقد أصبح



الآن دولاً عَلْمانية من مسيحية وإسلامية[1] أيضاً .

عَلْمانية العالَم

أذكروا لي دولة دينية واحدة في العالم الآن ، بما فيها إيران وإسرائيل؟

أقول لكم : لا دولة دينية في العالم الآن ، بما فيها إيران وإسرائيل .

إيران حكمها رجال دين سارقون ، وناهبون ، كرفسنجاني ، أكبر تاجر للفستق الحلبي والسجاد في إيران ، ويعد من كبار أثرياء العالم . هذا صحيح . ولكن إيران مجتمع عَلْماني ، يُبغض رجال الدين الملالي ، الذين يحكمون من خلال «الحرس الثوري» ، كما كان الشاه يحكم من خلال جهاز الاستخبارات (السافاك) .

الشادور والعباءة فوق الجينز

والشعب الإيراني يسعى لطرد الملالي من الحكم في أقرب فرصة ممكنة . وإيران الآن بتلخيص شديد ومُعبّر ، عبارة عن «جينز فوقه شادور» ، كما هو الحال في الخليج حيث «العباءة فوق الجينز» . ولهذا فإيران دولة منبوذة من المجتمع الدولي ، وتُعد دولة مارقة . ويترقب البوليس الدولي المناسبة لكي يلقي القبض

---

(١) مثال ذلك ، تركيا ، وماليزيا ، وإندونيسيا ، والباكستان ، وبنغلادش . ومن الملاحظ أن كل الدول الإسلامية غير العربية فصلت الدين عن الدولة .



عليها متلبسة بالإرهاب ، وليطيح بالنظام الملالي القائم الذي تحدى الشرعية الدولية بملفه النووي العدواني ، وقام بتسليح وتمويل وتدريب المنظمات الإرهابية في العالم العربي ، وهدم العراق ولبنان ، كما هدم فلسطين بالأمس ، من خلال الأحزاب الشيعية في العراق ، و«حزب الله» ، و«حركة أمل» ، في لبنان ، وحركة «حماس» في فلسطين .

«اليهودية هي الحل»

أما إسرائيل فدولة عَلْمانية . وأحزابها الدينية المتشددة كحزب «شاس» ، و«يهود التوراة» ، و«المفدال» ، و«إسرائيل بيتنا» ، وغيرهم ، يتخذون من الدين اليهودي مطيّة ، كما يفعل «الإخوان المسلمون» ، وغيرهم من الأحزاب الدينية في العالم العربي ، للوصول إلى الحكم . ورغم هذا ، فهم لا يرفعون التوراة ، ويقولون «اليهودية هي الحل» . والدولة الإسرائيلية فيها من لم يُصلِ مرة واحدة في معبد يهودي ، ولا يتواني عن معاكسة نساء مكتبه ، وممارسة الجنس معهن ، كما فعل الرئيس الإسرائيلي كستاف الذي طولب بالتنحي عن منصبه في ٢٠٠٦ .

ظالمو أنفسهم

صحيح أن الغرب قد ظلم «حماس» كثيراً ، وضايق على «حماس» ، وحرمها من المال والدعم السياسي . ولكن «حماس» في البداية ، ومنذ البداية ، هي التي ظلمت نفسها ، حين أرادت



أن تفرض إراداتها وخطابها السياسي والديني على المجتمع الدولي . فوقفت هي في صف ، ووقف العالم كله - بمن فيهم معظم العرب - في وجهها . وكان وضع «حماس» كوضع من قاد سيارته في الاتجاه المعاكس للطريق . فما كان إلا أن ضبطه شرطي المرور الدولي ، وسحب منه رخصة القيادة ، وكتب له غرامة ، وربما حرمه من القيادة لعدة أشهر . وهذا ما حصل مع «حماس» بالضبط ، حيث كانت تسير في الاتجاه المعاكس للطريق العام . وظنت أنها تعيش في كوكب منفصل ، خاص بها ، ولا علاقة له بهذا العالم ، ونظامه الصارم . ولم تلقَ من يوافقها على هذا التصرف غير دولتين تسيران أيضاً في الاتجاه المعاكس هما : إيران ، وسوريا .

ولكن «حماس» ليست إيران .

كذلك «حماس» ليست سوريا .

وكان أن أكلها الذئب ، وهم عليها يتفرجون!

دولة «طالبان» في غزة

هل شاهدتم على شاشات التليفزيون ما حصل في غزة؟

لقد تحررت غزة للمرة الثانية!

بل إن تحريرها اليوم ، من السلطة الفلسطينية أعز وأغلى من تحريرها من الاحتلال الإسرائيلي ، كما قال سامي أبو زهري ، الناطق باسم «حماس» ، أو «دولة طالبان» الفلسطينية الجديدة في غزة .

فما قامت به «حماس» تجاه السلطة الفلسطينية ومكاتبها



على النحو الذي شاهدناه على شاشات التليفزيون ، لم تقم به «حماس» تجاه إسرائيل ، عندما انسحبت منها عام ٢٠٠٥ .

كذلك لم يجرِ سحل أي إسرائيلي ، كما فعلت غوغاء «حماس» بجثة سميح المدهون القيادي في كتائب الأقصى ، وقد التقطت كاميرات التليفزيون صوراً وحشية بشعة لمناصري «حماس» ، وهم يبصقون على الجثة المسحولة ، كأي كلب أجرب!

التحرير الثاني لغزة!

كذلك وصلت الوحشية بمناصري «حماس» وعناصرها المسلحة ، حداً اقتياد مسلحي «حماس» لأنصار «فتح» الذين أسرتهم ، حيث كان بعضهم يبكي كالنساء ، والبعض الآخر خارت قواه ، في حين ذهب البعض الآخر ، وسلّم سلاحه الشخصي .

وبثّت «فضائية الأقصى» التابعة لـ «حماس» صوراً لعشرات جنود وضباط الأمن الوقائي ، وهم من دون ملابس باستثناء الملابس الداخلية ، وهم يرفعون أيديهم ، بينما عناصر «القسّام» ، يطلقون النار فوق رؤوسهم بشكل مذل ومهين . وفي خلفية الصور علا صوت القيادي في «حماس» سامي أبو زهري ، وهو يعلن النصر بعبارات ذات مغزى ، حين قال :

«الله أكبر الله أكبر والحمد لله كثيرا ، إنها لحظة النصر ، وأقول للأمة وللشعب إن هذا هو التحرير الثاني لغزة . فالتحرير الأول ، كان من المستوطنين . والتحرير الثاني ، كان من هؤلاء العملاء .»



العودة لاتفاق «مكة»

بعض المعلقين السياسيين الحريصين على مصلحة الشعب الفلسطيني، كتب يقول، أن لا حل لعودة الهدوء إلى الأراضي الفلسطينية إلا بالعودة إلى تطبيق بنود «اتفاق مكة»،[1] وهو ما يجب أن يؤكده اجتماع وزراء الخارجية العرب الذين لا يملكون غير التمنيات والتوصيات والاقتراحات التي تبقى حبراً على ورق، ما دامت سوريا مصرّة على حل قضية الجولان عبر «حماس»، وما دامت إيران مصرّة على التنكيل بأمريكا عبر «حماس» أيضاً بعد أن اشترتها في نهاية ٢٠٠٦ بثمن بخس، وهو ربع مليار على إثر زيارة إسماعيل هنيّة لها. والعودة إلى تطبيق بنود «اتفاقية مكة» هو الاقتراح السياسي العقلاني، ولكن لقوم يعقلون.

«حماس» لا تملك من أمرها شيئاً. «حماس» منظمة سياسية مسلّحة، مُسيّرة بيد سوريا وإيران وليست مُخيّرة، بعد إن تم شراؤها من النظام الإيراني.

سوريا تقدم لها الدعم السياسي، واللوجستي، واستضافة قياداتها في دمشق وبيروت. وإيران تقدم لها الدعم المادي!

---

(١) صلاح مختار، موقع «الملتقى الفتحاوي»، ٢٠٠٧/٥/٢٠. ومن الجدير بالذكر أن «اتفاق مكة»، بين «حماس»، و«فتح» تم في مكة المكرمة: في ٢٠٠٧/٢/٢٥.



الرشد السياسي الواقعي

صحيح أن لمنظمة «فتح» والسلطة الفلسطينية أخطاء جسيمة وقاتلة ، وعلى رأسها هذا الفساد المالي والسياسي المستشري في صفوفها . ولكن تبقى «فتح» ، وتبقى «منظمة التحرير الفلسطينية» ، هي العقل الراشد في القضية الفلسطينية . وهي العقل الواقعي الذي يحسب حساباته السياسية جيداً ، انطلاقاً من مصلحة الشعب الفلسطيني ، وليس انطلاقاً من مصالح دول حليفة كسوريا ، وإيران .

كما أن «فتح» تبقى الفصيل الفلسطيني السياسي ، الذي يسعى إلى حل القضية الفلسطينية ، وبناء الدولة الفلسطينية بالطرق السياسية الراشدة والواقعية . ومن هنا ، كانت مناصرة الدول الأوروبية ، وكذلك مناصرة معظم الدول العربية المعتدلة ، ودعمها لهذا الفصيل الموصوف بالعمالة من قبل «حماس» ، كما قال سامي أبو زهري .

«حماس» شهادة إثبات قوية

ماذا بقي لـ «حماس» من صدقية الآن ، بعد كل هذه الفضائح والجرائم؟

أنا أحمد الله ، على أن «حماس» نجحت في الانتخابات التشريعية مطلع ٢٠٠٦ ، وحكمت في ٢٠٠٦ ، وفي ٢٠٠٧ ، ثم انفردت بحكم قطاع غزة (٢٠٠٨-٢٠١١) لكي يرى الشارع العربي والرأي العام العربي بعينه ، ويلمس بيده ، معنى أن يحكم الإسلام السياسي بلداً من البلدان العربية ، ومعنى أن



نرفع شعار «الإسلام هو الحل» .

لترينا «حماس» غداً كيف سيحلُّ لها الإسلام هذه المعضلة ، وهذا المطبّ الذي هي فيه الآن ، بعد أن أغلقت كافة الأبواب العربية والأوروبية والغربية ، ولم يبقَ لها إلا بابان مخلوعان ومتهالكان : الباب السوري ، والباب الإيراني . ولم يبقَ لها إلا بعض (المواسير) التي تطلقها على القرى الإسرائيلية ، وتضيء سماء غزة كالألعاب النارية على حد وصف محمود عباس لها ، ومجموعة من الشباب القانط العاطل ، المُحزَّم بالأحزمة الناسفة ، والموعود بالجنة ، والحور العين ، وسلال التين .

انتصار حلف «فلسان»

فهل يمكن لسوريا وإيران مع «حماس» أن يقيموا الدولة الفلسطينية الموعودة .

اعتقد أن سوريا ، قد ربحت المعركة مع إيران . لقد انتصر حلف فلسان (فلسطين - سوريا- إيران) كما أطلقنا عليه في ٢٠٠٦ . كما انتصرت كل القوى في المنطقة التي تسعى لهزيمة «قوى الشر» في العالم ، المتمثلة بالاتحاد الأوروبي ، وأمريكا .

وإذا كانت هناك نتائج فعلية وأليمة لما تمَّ في غزة ، فهي أن الدولة الفلسطينية بعُدت عن التحقيق عشرات السنين إلى الوراء . ولم يعد للشعب الفلسطيني أمل قريب في دولة مستقرة . وهذا هو قرار الشعب الفلسطيني ، وليس قرار أحد آخر . فهو الذي انتخب «حماس» في قطاع غزة ، بمعدته الخاوية ، وقدميه الحافيتين ، وعقله المختل ، وحملها إلى كرسي



الحكم . وعليه غداً أن يقلع شوكه بيده ، بعد أن أصبح محكوماً الآن ، من قبل «دولة طالبان الفلسطينية» بقيادة الملا خالد مشعل ، وإسماعيل هنيّة . وهو ما جعل القيادي في «حماس» نزار ريان يقول ، بأنه سوف يصلي يوم الجمعة في مقر الرئيس الفلسطيني محمود عباس في غزة ، ويحوله إلى مسجد . في حين يعتزم عدد من شيوخ «حماس» تحويل مركز «الأمن الوقائي» ، وغيره من المقار الأمنية التي استولى عليها مسلحو الحركة إلى مساجد!

قلنا لكم فلم تسمعوا إلا ضحى الغد

هل أنا متشائم؟

بلى .

أنا متشائم من اليوم الأول لإعلان فوز «حماس» في الانتخابات التشريعية مطلع ٢٠٠٦ . وكنتُ متوقعاً ما حصل . ومن يقرأ مقالاتي التي كتبتها خلال ٢٠٠٦ عن الآثار المدمرة التي سيتركها نجاح «حماس» في الانتخابات التشريعية ، سوف يدرك أن الشعب الفلسطيني هو من زرع الشوك في يديه ، وعليه هو نفسه - ولا أحد سواه - أن يقتلع هذا الشوك .

فلا الجامعة العربية ، ولا اجتماع وزراء الخارجية العرب ، ولا «اتفاق مكة» ٢٠٠٧ ولا ملايين العرب والعجم ، قادرة على تحرير الشعب الفلسطيني من أوهامه وخيالاته .

الشعب الفلسطيني وحده ، هو القادر على ذلك .

كيف؟



بالعَلْمانية التوحيدية .

وبفصل الدين عن الدولة . وهو ما نحن أحوج إليه الآن ، بعد أن أغرق رجال الدين وعلى رأسهم إسماعيل هنيّة فلسطين بهذه الدماء المفزعة!

لا تعلقوا أخطاءكم على مشجب الآخرين

إن الخطأ كل الخطأ الارتكان إلى نظرية المؤامرة الغربية على الشعب الفلسطيني ، وإبراز ذلك من خلال قنوات «حماس» الفضائية المختلفة ، وصحفها في لندن والقدس ، وذلك على غرار ما قالته جريدة «يونغافيلت» الألمانية ، من أن إدارة بوش قامت بالتخطيط منذ فترة طويلة لتفجير الأوضاع الداخلية الفلسطينية ، وتحريض تيار موالٍ لها داخل حركة «فتح» على القيام بتصفيات جسدية لقادة الفصائل العسكرية لحركة «حماس» . وكذلك قول المعلق السياسي للصحيفة «فولف راينهاردت» ، من أن هذا الاتهام مبني على أقوال لا تحتمل اللبس ، أدلى بها مسئول الاتصال العسكري الأميركي المقيم في إسرائيل الجنرال «كيث دايتون» ، أمام جلسة استماع في لجنة الشرق الأوسط بالكونغرس الأميركي ، فهذه كلها من باب التحليلات السياسية والعسكرية التي أوصلت «حماس» إلى كرسي الحكم . وكانت هذه النتيجة التي نأكل حصرمها ، ونشرب حنظلها الآن .

وهذه هي «حماس» اليوم ، التي تحمل جراب الحاوي السياسي ، وتخرج منه كل يوم أرنباً سياسياً بلون جديد!




مكتبة
الفكر الجديد

محنة مسلمين أم محنة إسلام؟




مكتبة
الفكر الجديد

هل ستستعيد مصر الخلافة الإسلامية؟

كان حلم «الإخوان المسلمين» منذ أن تأسست حركتهم في العام ١٩٢٨ ، في الإسماعيلية في مصر ، أن يعيدوا لمصر الخلافة الإسلامية ، التي أسقطها كمال أتاتورك في ١٩٢٤ . ومن أجل هذا ، دعموا دعوة بعض أشياخ الأزهر كالشيخ محمد مصطفى المراغي(١) (١٨٨١-١٩٤٥) لتنصيب الملك فؤاد الأول خليفة على مصر بدل الخليفة التركي السلطان عبد المجيد بن عبد العزيز(٢) ، الذي طرده أتاتورك من تركيا ، ونفاه إلى جنوب فرنسا .

فشل دعوة الخلافة الأصولية

وقام على إثر ذلك بعض أشياخ الأزهر و«الإخوان المسلمين» بالدعوة لتولي الملك فؤاد الخلافة الإسلامية . ولكن هذه الدعوة

---

(١) الشيخ محمد مصطفى المراغي ، عالم أزهري وقاض شرعي . كان شيخ الأزهر في الفترة من ١٩٢٨ - ١٩٣٠ ، ثم تولىّ المشيخة مرة أخرى (١٩٣٥ - ١٩٤٥) .

(٢) آخر سلاطين آل عثمان (١٩٢٢-١٩٢٤) .



لم تفلح في تنصيب الملك فؤاد خليفة للمسلمين، نتيجة لعدة عوامل، منها:

١- معارضة بريطانيا المحتلة لمصر لمثل هذه الدعوة، ورغبتها في أن تصبح مصر كأكبر وأقوى بلد عربي في ذلك الوقت، دولة عَلْمانية مدنية، تكون نموذجاً لبناء الدول العربية الجديدة بعد الاستقلال، الذي بدأ يلوح، في مطلع الأربعينات من القرن العشرين.

٢- خوف بريطانيا وباقي الدول الأوروبية من إعادة سيرة دولة الخلافة العثمانية، ووقوفها إلى جانب أعدائها في أية حرب قادمة، كما فعلت تركيا في الحرب العالمية الأولى، وكان عقابها إنهاء احتلالها للعالم العربي عام ١٩١٨.

٣- معارضة الأحزاب السياسية العَلْمانية المصرية كحزب «الوفد» وحزب «الأمة» الذي كان يضمُّ مجموعة من العَلْمانيين كأحمد لطفي السيد، وحزب «الأحرار الدستوريين» الذي كان يضم نخبة من رواد التنوير والعَلْمانية كطه حسين، ومحمد حسين هيكل، وتوفيق دياب، ومحمود عزمي، ومحمد عبد الله عنان، وعبد العزيز البشري، والشيخان الشقيقان: مصطفى وعلي عبد الرازق، وغيرهم، ممن كانوا يكتبون في جريدة «السياسة» الأسبوعية التابعة لحزب «الأحرار الدستوريين» العَلْماني.

٤- وأخيراً، دَعمَ حزب «الأحرار الدستوريون» رفضه للخلافة الإسلامية بكتاب الشيخ علي عبد الرازق المدوّي،(١)

(١) «الإسلام وأصول الحكم»، ١٩٢٥.



الذي نفى فيه مقولة ، إن الإسلام دين ودولة ، وقال بعدم إمكانية قيام خلافة إسلامية في الوقت الحاضر .

«الإخوان المسلمون» وشبق الخلافة

ظل «الإخوان المسلمون» في الأربعينات ، يحاولون بشتى الطرق ، المناداة بالدولة الدينية علانيةً ، وبالخلافة الإسلامية ضمنياً . وهم الذين شجعوا فكرة إقامة حفل تنصيب الملك فاروق ملكاً على مصر والسودان في الأزهر ، وليس في مجلس الأمة . وذلك جرياً على ما كان يتم في أوروبا في تنصيب الملوك في الكنائس .(١) ولولا اعتراض النحاس باشا ، ورفضه لذلك ، وقوله إن الملك فاروق ملك الشعب ، ويجب تتويجه بمجلس الشعب ، لتمَّ الأمر ، وربما لنُودي بفاروق خليفة للمسلمين . وهي علامة مدى تعلُّق فكر «الإخوان» بإقامة الدولة الدينية . كذلك ، كان «الإخوان» يطلقون على الديوان الملكي المصري ، «الديوان الملكي الإسلامي» ، وهو الديوان الذي كان يعجُّ بخليلات الملك فاروق من الايطاليات ، والفرنسيات ، وغيرهن . وعندما كان حزب «الوفد» العَلْماني يتظاهر في الشوارع ، ويطلق شعار : «الشعب مع سعد زغلول» ، كان «الإخوان» يقابلونه بشعار : «الله مع الملك» . وفي أدبيات «الإخوان المسلمين» وخطابهم السياسي ، إشارات لا حصر لها ، تشير إلى هدف

---

(١) ما زال ملك أو ملكة بريطانيا حتى الآن يتوجان في كنيسة ويستمنستر في لندن . والملكة اليزابيث الحالية تم تتويجها ١٩٥٣ ، في هذه الكنيسة .



الإخوان في إقامة حكومة دينية، فيما لو تولّوا الحكم، ذات مرة.

هل اقترب «الإخوان المسلمون» من كرسي الخلافة؟

فهل اقترب «الإخوان المسلمون» من كرسي الحكم بفوزهم الساحق في الانتخابات التشريعية المصرية بـ ٨٨ مقعداً عام ٢٠٠٥. وهو أول انتصار ساحق لهم منذ ١٩٢٨ حتى ٢٠٠٥؟[1]

فماذا يرسل هذا الفوز الساحق من إشارات؟

هل يدلُّ على مدى تدهور الأوضاع في مصر، وإفلاس الحياة السياسية المصرية؟

أم أن الحكم في مصر، يريد أن يثبت للغرب أن شفافية الانتخابات ونزاهتها في مصر، وفي أي بلد عربي آخر، يعني وصول الأصوليين إلى الحكم، كما حدث في الجزائر عام ١٩٩١، ويحدث الآن في مصر، وكاد أن يحدث في الأردن؟

وهذا سوف يدفع - ربما وفي نشوة هذا النصر - بمناصري

(١) من الجدير بالذكر أن «الإخوان المسلمين» نتيجة لفشلهم في التصدي للقضايا الحيوية المصرية، ولهوهم بالحجاب والنقاب والختان وخلاف ذلك، في مجلس الشعب (٢٠٠٥-٢٠١٠) سقطوا سقوطاً مدوياً في الانتخابات التشريعية ٢٠١٠، بحيث لم ينجح منهم عضو واحد، متهمين الحكومة بالتزوير والبلطجة. وهكذا عاقبهم الشعب المصري في هذه الانتخابات العقاب المُستَحَق!



«الإخــوان» ومــحــازبيــهــم وقــادتهم إلى العــودة إلى خطاب الأربعينات والخمسينات الأصولي، المتمثل بفكر سيّد قطب وغيره، ونفي ما قالوه، ورددوه من رفض للدولة الدينية، كما جاء على لسان ما نُطلق عليهم «الإخوان الجُدد Neo-Bros» أمثال عصام العريان، ورياض عبد المنعم، ومحمد حبيب، وغيرهم.

مصر، ماذا بعد؟

إن مصر بعد ١٩٥٢، ونتيجة للقضاء على الأحزاب العَلْمانية، وإخراس الأصوات الليبرالية، وإحراق النُصب والمنابر الديمقراطية، أصبحت أكثر البلدان العربية تهيئة لاستعادة الخلافة الإسلامية، لوجود أكبر حزب ديني فيها، (١) ولوجود مرجعية دينية كبيرة فيها، (٢) ولكون الشعب المصري أكثر الشعوب العربية تديناً وتمسكاً بالدين، وإطاعة للحاكم الديني. وكذلك أكثر الشعوب العربية فقراً، وظلماً من الحكام.

فماذا كنا نتوقع من «الإخوان المسلمين»، بعد نصر ٢٠٠٥ الكاسح؟

هل كانوا سيرتدون إلى خطاباتهم في الأربعينات والخمسينات، القائلة بإقامة دولة دينية، واستعادة الخلافة الإسلامية، أم أنهم سيلتزمون بأفكار «الإخوان الجُدد» وخطابهم

---

(١) كـ «جماعة الإخوان المسلمين».

(٢) كـ «الأزهر الشريف».



الحديث والمعاصر الذي يعتبره الكثيرون بمثابة «من يتمسكن حتى يتمكّن»؟

وهل «الإخوان المسلمون» من أكثر الأحزاب العربية ثعلبنةً ومكراً للوصول إلى الحكم، حيث لا يترددون بفعل كل ما يمكن حتى يتمكنوا (تمسكنوا حتى تتمكّنوا)؟

سُئل عصام العريان، أحد قيادي الإخوان:

هل سيقبل الإخوان بالتعددية الحزبية، فيما إذا تولّى «الإخوان» الحكم في مصر؟

فردَّ:

بالطبع سنقبل!

وعندما سُئل أن المرشد العام للإخوان المسلمين السابق مصطفى مشهور قال:

« إننا نقبل بمبدأ التعددية الحزبية الآن، لكن عندما يقوم حكم إسلامي، فإننا نرفضها، ولن نقبلها.»[1]

ردّ العريان:

«إن هذا النقل غير صحيح. والمرشد قال هذا الكلام في إطار ندوة، وخلاصة الندوة صدرت في كتاب « التعددية والشورى في المجتمع المسلم». وهذا الكتاب يعتبر الوثيقة المُلزمة للمرشد ولمكتب الإرشاد ولكلّ «الإخوان»، وهي تقرُّ بالتعددية الحزبية، في المجتمع الإسلامي.»[2]

---

(١) رفعت السعيد، «ضد التأسلم».

(٢) عصام العريان، مقابلة في موقع «شفاف الشرق الأوسط»، ٢٠٠٤/٩/١٤.



و«جماعة الإخوان المسلمين» ، مستعدة للتنازل عن كثير من أفكارها ومبادئها ، نتيجة لتبنّيها في هذه المرحلة «البرجماتية السياسية» ، والتي لخصها عصام العريان بقوله :

«الاتفاق على التعددية السياسية والموقف من المرأة ، أمور فيها اجتهادات جديدة من جانب الإخوان ، تتماشى مع المستجدات التي تعيشها الأمة الإسلامية الآن .»[1]

كذلك فـ «جماعة الإخوان المسلمين» ، متهمة بأنها تنازلت عن أهم أركان عقيدة المسلمين ، ألا وهو ركن التسليم بحاكمية الله التي نادى بها سيّد قطب ، واتّباع أصول الجاهلية الديمقراطية في التشريع ، والتي تعني التسليم بحق البشر في اختيار ما يرونه من تشريعات وعقائد ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾[2] وهو تنازل مرحلي في رأينا ، لا تلبث بعده حركة «الإخوان» إلى العودة إلى شعارات ومبادئ الأربعينات والخمسينات ، فيما لو استولت على الحكم ، رغم نفي العريان لهذا التوقّع . وهو ما قام به الترابي عند تسلّم الحكم في السودان في عهد النميري (١٩٧١-١٩٨٥) . وهو ما يؤكده يوسف القرضاوي في سؤاله :

«كيف يستغل الإسلاميون الديمقراطية وهم غير مؤمنين بها

---

(١) أيضاً .

(٢) المائدة : ٥٠ .



- حتى يصلوا إلى الحكم فقط - وحينئذ يحكمون على غيرهم بالإعدام؟»[1]

الدين كمطيّة للوصول إلى الحكم

إذن، لم تعد «جماعة الإخوان المسلمين» حركة دينية، ولكنها أصبحت حركة سياسية محضة، لا تأخذ من الدين أي جانب سياسي، حيث لا سياسة في الدين تؤخذ، لهذه الأيام. وهيجل يقول، إن الخلافة لم تعد مطروحة على جدول أعمال التاريخ المعاصر. ولكن حركة «الإخوان المسلمين»، استعملت الدين كمطيّة للوصول إلى الحكم، وتبنّت أفكاراً وشعارات سياسية غربية مئة بالمئة،[2] فيما يعتبر انتفاضة سياسية «إخوانية» مثيرة.

وكان أهم هذه الشعارات الجديدة:

---

(١) يوسف القرضاوي، «التعددية السياسية: رؤية إسلامية»، ندوة نظمها «مركز الدراسات الحضارية»، في «مركز الإعلام العربي»، القاهرة ١٩٩٤، ص ٥٥.

(٢) كالديمقراطية، والانتخابات، والتعددية، والحريات السياسة، والنضال الدستوري، وإقامة المجتمع المدني، وإقامة الدولة المدنية وليست الدينية.. الخ. وهو ما جاء على لسان محمد السيد حبيب عضو مكتب الإرشاد في مصر، الذي قدّم شعارات سياسية حداثية وليبرالية جديدة للإخوان، في مقابلة صحافية على موقع «الإخوان المسلمون» في الانترنت في ٢٠٠٤/٢/٢٨.



١- أن «الإخوان لا يسعون لأن يكونوا بديلاً لأحد ، وهم حريصون على أن يكون لهم حزب سياسي .»[(١)]

ومحمد السيد حبيب ،[(٢)] لم يقل :

«أن يكون لهم حزب ديني سياسي .»

ولكنه قال :

«حزب سياسي» فقط .

كما أن حبيب ، تخلّى عن فكرة «الإخوان» لمحق ومحو الآخر ، عندما يتسلمون الحكم . فعندما تسلم «الإخوان» الحكم في السودان مثلاً ، شنقوا المفكر الإصلاحي الكبير محمود طه عام ١٩٨٥ ، بقرار من حسن الترابي ، زعيم «الإخوان» في السودان . كما استهدف الخط السياسي التعبوي ، الذي انتهجته جبهة الميثاق الإسلامي ، تصفية الدستور القائم وقتها ، ومن ثم تصفية أساس الديمقراطية السودانية . وقد تجلّى ذلك في محو الخطوط الفاصلة بين السلطات الثلاث : التشريعية ، والتنفيذية ، والقضائية ، الذي تجسّد في قضية حلٍّ الحزب الشيوعي الشهيرة .

٢- يرفع حبيب شعار :

«تدرج الخطوات ، من ثوابت منهجنا . والنضال الدستوري سبيلنا عبر القنوات القانونية .»[(٣)]

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) من صقور «الإخوان» ، ومِن مَن هم مِن «الإخوان الجُدد» .

(٣) المصدر نفسه .



وهذا اعتراف صريح أن القرآن الكريم ، ليس دستوراً سياسياً . إذ لا دستور سياسياً في الإسلام . وكلمة «الدستور» ليست عربية أصلاً ، وإنما هي فارسية . والدستور نظام سياسي جاءنا من الغرب في القرن العشرين فقط . والنضال عبر القنوات القانونية تعني هنا ، أن «الإخوان» قد اقتنعوا أخيراً ، أن لا قوانين سياسية في الإسلام ، وإنما هناك قوانين سياسية وضعها البشر . وبذلك انتفت نظرية «الحاكمية» ، التي كان يدعو إليها سيّد قطب من خلال كتابه (معالم في الطريق) . والتي اقتبسها عن المفكر الباكستاني أبي الأعلى المودودي ، الذي أصبحت بلاده الآن بلاداً ديمقراطية عَلمانية بارزة ، لا أثر للحاكمية فيها ، وتولّت فيها المرأة رئاسة الوزراء .[1] فلقد شدد سيّد قطب ، أكثر ما شدد ، على الاستعلاء بالإيمان ، بزعم أن المجتمع في مجمله ، لا يعدو كونه قبيلاً من الجاهليين . وشدد على ألا يجيب السائرون على دربه لفكرة إقامة الدولة الإسلامية ، إلى الأسئلة

---

(١) بنازير بوتو (١٩٥٣- ٢٠٠٧) تولت رئاسة الوزراء عام ١٩٨٨ ، ثم عام ١٩٩٣ للمرة الثانية . وخاضت الانتخابات في عام ٢٠٠٧ ، ولكنها قُتلت في تفجير انتحاري ٢٠٠٧ . كذلك فقد تولت في أندونيسيا المرأة رئاسة الوزراء . أما العالم العربي فقد شهد تحولات ايجابية كثيرة لصالح المرأة فأصبحت وزيرة في مصر والعراق وسوريا والأردن والمغرب وتونس والكويت وغيرها وأصبحت وكيلة وزارة في السعودية . كما دخلت مجالس الشعب بالانتخاب والكوتا في مصر والأردن وسوريا والعراق والكويت ، كما أصبحت مستشارة في مجلس الشورى السعودي .



المتعلقة ، بتفاصيل الدعوة ، وإنما عليهم أن يكتفوا فقط بالدعوة إلى العقيدة .

٣- يرفع حبيب شعار :

«تبنّي الدعوة لإنهاء الخصومة بين الحكومات والشعوب ، من خلال الإصلاح السياسي ، وتفعيل مؤسسات المجتمع المدني .»(١)

وهناك اعتراض كبير على هذا النهج من قبل السلفيين ، الذين يرون أن لا نبذ لـ «الجهاد العيني» الواجب ضد تلك الحكومات المرتدة ، التي تحكم بلاد المسلمين ، بل ومعاداة وتسفيه من يدعو إلى ذلك ، والتشنيع عليه ، ودعوة الحكومات إلى القضاء عليه ، والتبرؤ منه ، أمام هؤلاء الطواغيت . وأن دعوة حبيب مناقضة لقوله تعالى ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾(٢) وبذا ، فقد خرجت - على هذا النحو - «جماعة الإخوان المسلمين» من عصبة السلفيين ، ودخلت - ولو من طرف خفي - في عصبة «الليبراليين الجُدد» ، الذين يسعون المسعى نفسه . وهو مكسب جديد لليبراليين الجُدد فيما لو صحّت دعوة الإخوان هذه ، وتمّت المعجزة .

صوت آخر من «الإخوان»

وفي هذا الخصوص أيضاً ، أصدر عبد المنعم أبو الفتوح عضو

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) البقرة : ١٩٣ .



مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين وثيقة بعنوان «المفهوم الإسلامي للإصلاح الشامل» ، تحمل مؤشرات على تطور رؤية جديدة من داخل التيار الإسلاموي تتحدث عن «الدولة المدنية» باعتبارها بدهية ، لا بديل عنها لتحقيق المواطنة الحقّة!

ويؤكد أبو الفتوح أن «الخطاب الإصلاحي الإسلامي بشكل عام هو خطاب بشري.»[1]

والسؤال هنا :

لماذا لا يبدأ «الإخوان المسلمون» بأنفسهم ، ويُجرون انتخابات شاملة ونزيهة ، لانتخاب المرشد العام ، وأعضاء مكتب الإرشاد ، بدلاً من قصر الموضوع على ١٥ شخصاً من أهل (الحل والعقد) كما جرى ، ويجري الآن؟!

وأين صدقية الإخوان في ذلك؟

مستقبل «الإخوان» في مصر

وبعد ، لماذا ، وكيف فاز الإخوان المسلمون بربع مقاعد مجلس الشعب المصري ٢٠٠٥ ، وهل هم مؤهلون في الانتخابات القادمة إلى كسب نصف مقاعد مجلس الشعب أو أكثر؟[2]

---

(١) رؤية عبد العظيم أبو الفتوح ، التي وزعها على هامش «مؤتمر أولويات وآليات الإصلاح في العالم العربي» ، القاهرة ، ٥ /٧/٢٠٠٤ .

(٢) سبق وقلنا إن «الإخوان المسلمين» نتيجة لفشلهم في التصدي للقضايا الحيوية المصرية ، ولهوهم بالحجاب والنقاب والختان وخلاف ذلك ، في مجلس الشعب (٢٠٠٥-٢٠١٠) سقطوا سقوطاً مدوياً في ==



دعونا نضع النقاط على الحروف، ونقول ما (يوجع القلب):

١- إن الفوز الذي حققه «الإخوان» لم يكن بفضل البرنامج السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، الذي قدمه «الإخوان» للناخبين، وإنما كان نتيجة لضعف الحزب الوطني الحاكم، وتهافته، وفشله في القضاء على الفساد، والرشوة، والمحسوبية، والبطالة، وتحسين مستوى المعيشة. فالذين انتخبوا مرشحي «الإخوان»، هم من الطبقة الفقيرة، العاطلة، المسحوقة في مصر، وهي طبقة الأغلبية. وهناك من يقول، إن الكثير ممن انتخبوا مرشحي «الإخوان»، انتخبوهم نكاية بديكتاتورية الحزب الحاكم، وفساد الحزب الحاكم، وليس حباً وإيماناً بحركة «الإخوان»، ذات الشعارات الرومانسية الغامضة، والمغلّفة بغلاف الدين البراق!

٢- في تقديرنا، أن «الإخوان» لو أُعطوا الفرصة نفسها التي أُعطيت لهم الآن، لحققوا الانتصار نفسه، منذ عام ١٩٥٢، نتيجة لاهتراء أنظمة الحكم التي تعاقبت على مصر، منذ ذلك الوقت حتى الآن، وملل الناخبين من الوعود والآمال الكاذبة، التي منّت بها العهود الماضية الشعب المصري، ولم تفعل شيئاً، بل ازداد الفقراء فقراً،

= الانتخابات التشريعية ٢٠١٠، بحيث لم ينجح منهم عضو واحد، متهمين الحكومة بالتزوير والبلطجة. وهكذا عاقبهم الشعب المصري في هذه الانتخابات العقاب المُستَحَق!



والأغنياء غنى ، والفاسدون فساداً .

٣- إهمال الحزب الوطني الحاكم إهمالاً تاماً التثقيف الجماهيري الديمقراطي والحداثي ، من خلال وسائل الإعلام الضخمة والمؤثرة التي يمتلكها . وتركَ الشارع المصري لحركة «الإخوان» ينشرون فيه دعوتهم ، وخطابهم ، وتأليبه على كل ما هو حداثي من خلال المساجد ، والنقابات .(١)

لقد تحوّل الإعلام المصري في السنوات الماضية ، إلى مخدِّر ومنوِّم للشعب والشارع المصري . ومادة هذا التخدير والتنويم ، كانت الإكثار من البرامج التافهة المتعلقة بالفنانين والفنانات التافهات ، والراقصين والراقصات المبتذلات ، والمغنيين والمغنيات المُسفَّات ، والبرامج التي تُعرض الأفلام ، وممثليها ، ومخرجيها ، ومصوريها ، وتاريخهم ، وحياتهم ، وماذا يأكلون ، وماذا يلبسون ، وما هي الهدايا التي تقدم لهم . . الخ ، بحيث بلغ عدد هذه البرامج في رمضان ٢٠٠٧ ، ٤٣ برنامجاً تافهاً للتسلية والتنويم . وكلها تتعلق بأهل الطرب المزيف ، والسينما الهابطة . ولم يقم الإعلام المصري بنشر ثقافة الديمقراطية ، وفكر الديمقراطية . ولم يكن المدرسة القديرة على تربية الشارع المصري تربية

---

(١) من الجدير بالذكر أن «الحزب الوطني» الحاكم قد تحاشى معظم أخطائه ، وأصلح من أموره الداخلية . وكانت نتيجة ذلك فوزه الساحق في انتخابات ٢٠١٠ وسقوط «الإخوان» الصاعق!



سياسية عصرية، يستطيع من خلالها التمييز بين الحقيقي، والزائف، والواقعي، والخيالي.

وفي المقابل كان «الإخوان» يستغلون هذا الفراغ، ويملأونه بخطابهم العام الغامض، وغير الواقعي، والذي يتلخص بـ«الإسلام هو الحل» دون أن تعرف كيف سيتم ذلك،(١) وما هي آليات هذا الحل. علماً أنهم قالوا: «تلك أكاذيب. إن برنامجنا برنامج حافل. وقد أعلناه. وهو وافٍ بكل الألوان التي تريدها حياتنا ويريدها مجتمعنا. فنحن لا نستخدم شعارات دينية. شعار [الإسلام هو الحل]، ليس شعاراً دينياً، إنما هو شعار يفي بحقيقة أن الإسلام هو الذي عالج كل مشكلات الحياة.»(٢) وبذا، فقد وجد «الإخوان» في الشارع المصري المقفر من الفكر السياسي والبرامج السياسية، تربة صالحة جداً لنشر خطابهم، مما أكسبهم تلك النتيجة الكبيرة، في الانتخابات التشريعية ٢٠٠٥.

(١) أنكره الداعية الديني الكويتي المعروف طاريق سويدان ورفضه جملة وتفصيلاً. وقال في حديث لفضائية العربية، إن شعار «الإسلام هو الحل» لم يعُد ينفع، أو يشفع، أو يرقع! كذلك، فقد اعتبر سويدان، في برنامج «وجوه إسلامية» على فضائية «العربية» ٢٠١٠/٨/١٣: «إن دخول الإسلاميين إلى معترك السياسة يُسيءُ إلى الدين.» وهو ما تقول به العَلْمانية.

(٢) لاشين أبو شنب، عضو مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين، في حديث مع «بي. بي. سي»، ٢٠٠٥/١١/٢٨.



٤- وفيما لو بقي حال مصر على ما هو عليه ، من تدهور اقتصادي ، واجتماعي وفراغ سياسي ، وتفاهة في الإعلام ، وحتى لو أصبح دخل الفرد السنوي ٣٠٠٠ دولار[١] (ثمانية دولارات يومياً) مثلاً بدلاً من ٩٠٠ دولار سنوياً (٢,٥ دولار يومياً) ،[٢] نتيجة للقنبلة السكانية التي تنفجر بقوة كل عام ،[٣] ونتيجة للفساد المستشري ، وقلة الموارد ، فإن استعادة الخلافة الإسلامية على يد «الإخوان» ستكون نتيجة حتمية لهذا الوضع . وستكون كالكي ، آخر الدواء .

٥- وأخيراً ، فإن الخطورة على مستقبل مصر في ظل هذا العالم العَلْماني والمتعولِم ، وبعد النصر الانتخابي الساحق الذي حققه «الإخوان» في ٢٠٠٥ ، انضمام مزيد من الفقراء والمسحوقين إلى حركة «الإخوان المسلمين» المنادية بقيام دولة دينية للقضاء على الفساد وإقامة دولة العدالة ، لكي

(١) حسب التقرير السنوي لمجلة «الإيكونوميست» ٢٠١٠ .

(٢) كما كان عليه الحال من قبل ، حسب التقارير السنوية لمجلة «الإيكونوميست» .

(٣) يولد طفل كل دقيقة ، ووصل عدد سكان مصر أكثر من ٨٥ مليوناً في ٢٠١١ .



تقف وحدها في مواجهة العالم ، أو ربما بالتحالف مع إيران .

وعندها على مصر المحروسة السلام .[1]

---

(١) ولكن نتائج انتخابات ٢٠١٠ جاءت عكس هذه التوقعات ، حيث لم يفز «الإخوان» بأي مقعد في مجلس الشعب المصري . لذا ، فقد كان فوزهم الساحق في ٢٠٠٥ من نوع (الحمل الكاذب) كما يقال . فسلمت مصر من كارثة ماحقة!




مكتبة
الفكر الجديد

«المهدي المنتظر» والهلوسات الإيرانية

-١-

ما الذي دفع الرئيس الإيراني أحمدي نجاد ، لأن يعزو كل «الانتصارات» التي حققتها إيران عبر برنامجها النووي ، متحدية بذلك الشرعية الدولية ، إلى «المهدي المنتظر» ، وليس إلى الله ورسوله مثلاً ، أو إلى صمود وتصميم إيران ، أو إلى تقدم إيران العلمي ، أو إلى أي سبب آخر؟

ولماذا ألمح أحمدي نجاد إلى أن يد الإمام «المهدي المنتظر» «تُرى بوضوح في إدارة شؤون البلاد كافة»؟

ولماذا أكد نجاد ، في خطاب له أمام طلاب الفقه ، نقله تلفزيون الدولة ، أن «الإمام المهدي ، يدير العالم ، ونحن نرى يده المدبرة في شؤون البلاد كافة»؟

هل مُنيت الإدارة الإيرانية - برئاسة نجاد - بخيبات تنموية ، واقتصادية ، وسياسية مختلفة ، وأراد نجاد أن يبرِّىء نفسه منها ، ويرميها على ظهر «المهدي المنتظر»؟

لقد أجمع الأطباء النفسانيون منذ الستينات من القرن الماضي ، أن حالةً كحالة نجاد ، هي مرض نفساني يُطلق عليه «الهلوسة السمعية والبصرية Audio and Visual



Hallucination» . وهو مرض نفساني يصيب البعض الذين يتصورون ، أن أحداً غير موجود على أرض الواقع يكلمهم ، ويرشدهم . وهذا المرض اكتشفه «آدم كرابتري» ، الطبيب النفساني الكندي عام ١٩٦٦ ، والذي لخصه بحالات مرضية لمرضى يسمعون أصواتاً في رؤوسهم ، كما قال الطبيب النفساني الآخر ، «جوليان جاينز» .

-٢-

تقول آخر التقارير في نهاية عام ٢٠١٠ ، عن حال ومآل إيران في عهد أحمدي نجاد ، إن الحرس الثوري الديني الإيراني (باسدران) هو الحاكم الفعلي في إيران ، وقد كان أحمدي نجاد أحد ضباطه . ويتألف من ٣٥٠ ألف عنصر .[١] وهو يذيق الشعب الإيراني القهر ، إلى الحد الذي أصبح معه الشعب الإيراني أكبر مستهلك لحشيشة الكيف والأفيون في العالم ، حسب تقارير الأمم المتحدة ، وذلك نتيجة لحجم الظلم والقهر الكبير ، الذي تمارسه الدولة ممثلةً بالحرس الثوري .

وطبقا لتقرير المخدرات العالمي عام ٢٠٠٥ ، الذي أصدرته الأمم المتحدة عن مدمني الأفيون في العالم ، توجد في إيران أعلى نسبة من المدمنين في العالم . إذ إن ٢,٨ ٪ من السكان الذين تزيد أعمارهم على ١٥ سنة مدمنون على نوع من المخدرات .

---

(١) حسب تقديرات «المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية» ، في لندن .



وإلى جانب إيران ، توجد دولتان فقط في العالم ، تتعدى نسبة المدمنين فيهما ٢ ٪ ، وهما موريشيوس ، وقيرغيزستان .(١)

-٣-

إلى جانب ذلك ، ومن الناحية الدينية ، فإن الأرقام التي أذاعها رئيس الشؤون الثقافية في بلدية طهران ، الشيخ محمد على زم ، مؤخراً ، عن نسبة الالتزام الديني لدى الشعب الإيراني ، وخاصة الطلاب والشباب ، فيما يتعلق بأداء الصلاة والإباحية والإدمان على المخدرات ، أحدثت نوعاً من الصدمة والدهشة والذهول لدى المراقبين والإسلاميين خارج الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، وأثارت قلقاً شديداً على مستقبل التجربة الإسلامية ، ودفعتهم للتفكير ، وإعادة النظر في مخططاتهم الحركية ، وبرامجهم للحكم في المستقبل .

فقد كان الإسلاميون في أواسط القرن الماضي يتجادلون فيما بينهم ، حول الطريقة الفُضلى لإقامة المجتمع الإسلامي ، وفيما

---

(١) طبقاً لتقرير المخدرات العالمي عام ٢٠٠٨ الذي أصدرته الأمم المتحدة عن مدمني المخدرات في العالم ، توجد في إيران أعلى نسبة من المدمنين في العالم ، وإذا ما وضعنا في الاعتبار أن عدد سكان إيران يصل الى ٧٠ مليون ، وان بعض الإدارات الحكومية تعتقد أن عدد المدمنين يصل الى ٤ ملايين شخص ، فإن ذلك يضع إيران على قمة عدد السكان المدمنين في العالم على المواد المخدرة بما في ذلك الهيروين .



إذا كانت التربية قبل مرحلة السلطة ، أم السلطة قبل مرحلة التربية . وجاءت الثورة الإسلامية في إيران في نهاية السبعينات لتحسم ذلك الجدل الطويل ، بعد انضمام قطاعات واسعة من الشعب الإيراني إلى المشروع الإسلامي ، وخضوعها لقيادة رجال الدين ، ودعمهم لإقامة حكم إسلامي .

-٤-

تتابع هذه التقارير قولها ، بأنه كان يُنتظر أن يواصل رجال الدين الذين استلموا السلطة في إيران أسلمة ما تبقى من المجتمع ، والقضاء على جذور الفساد والانحلال والانحراف ، إلا أن الأرقام التي أذاعها المسئول الثقافي الإيراني ، وكشف عنها خلال مؤتمر صحفي ، يُعدُّ الأول من نوعه من حيث الشفافية ، والصراحة ، والنقد الذاتي ، أشارت إلى تراجع نسبة الالتزام الديني لدى غالبية الشعب الإيراني وخاصة الشباب ، حيث تجاوزت نسبة غير المصلين الثمانين بالمائة ، وتجاوزت نسبة الإباحية الستين بالمائة ، وبلغت نسبة المدمنين على المخدرات عشرين بالمائة . وهي أرقام مرعبة حقاً في مجتمع إسلامي تحكمه حكومة دينية ، وتسيطر فيه على وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفزيون ، ويوجد فيه حوالي نصف مليون رجل دين!

ورغم أن الحكومة الإسلامية بذلت عناية فائقة ، في إعداد برامج دراسية دينية للأطفال منذ نشوئهم في المدارس الابتدائية وغيرها ، إلا أن حصيلة تجربة عقدين من الزمن كانت ابتعاد



الشباب والطلاب عن الدين بنسبة عالية جداً.[1]

-٥-

من ناحية أخرى، فإن العواقب الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية لسيطرة رجال الدين على السلطة في إيران كثيرة، ومنها بعض المعطيات ذات الدلالة المهمة، وهي مستقاة من دراسة للدكتور أمان الله قرابي، الخبير الاجتماعي والأستاذ الجامعي، تتناول معالجة ظاهرة البغاء التي تشمل ٣٠٠ ألف من بنات الشوارع في طهران وحدها، وتتراوح أعمارهن بين ١١ إلى ١٨ عاماً. وفي الوقت الذي يؤكد فيه الباحث، أن الظاهرة تشير إلى ضعف القيم الدينية في المجتمع.[2] إلا أنه يؤكد أن أسباب الظاهرة اقتصادية في الأساس. فهناك أربعة ملايين عاطل عن العمل.[3]

والبلد بحاجة إلى مليون فرصة عمل جديدة سنوياً، في حين أن ما يتحقق هو من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ ألف فرصة. وتبلغ البطالة من ٢٠٪ إلى ٢٧٪، في أوساط الخريجين. وهناك تسعة

---

(١) أحمد الكاتب، «لماذا يتراجع الإيرانيون عن الالتزام الديني؟» مجلة «الوسط»، لندن، ٢٠٠٧/٧/٢٤.

(٢) في استطلاع أجرته الصحف الرسمية الإيرانية، تبين أن ٨٥٪ ممن ولدوا بعد الثورة لا يمارسون الشعائر الدينية.

(٣) جاسم الحلوائي، في سلسلة مقالات تحت عنوان «سنوات بين دمشق وطهران»، موقع «الحوار المتمدن»، ٢٠٠٦.



ملايين عازب وعزباء ، بينهم ٥,٥ ملايين من العازبات . ويوجد خمسة ملايين مدمن مخدرات ، ويعيش مليونان من سكان طهران في ضواحيها حياة بائسة .(١)

والعدالة التي ينادي بها المسئولون الإيرانيون ليلاً ونهاراً ، كانت نتيجتها- وهم في السلطة لأكثر من ربع قرن - زيادة الأغنياء غنىً ، وزيادة الفقراء فقراً في إيران ، حيث «يعيش أكثر من نصف الشعب الإيراني تحت خط الفقر ، وتفتك البطالة بأكثر من عشرين بالمائة من الشعب الإيراني . ويتعاطى ثمانون بالمائة من الشعب الإيراني المخدرات» ، حسب آخر تقرير دولي نُشر ، كما ذكرنا سابقاً .

تلك هي صورة إيران كما يراها المراقبون ، قبل عهد أحمدي نجاد ، وفي أثناء عهد أحمد نجاد .

فهل هذه الصورة التي يعلمها أحمدي نجاد تمام العلم ، هي التي دفعته لأن يُلقي كل هذه الأخطاء - وإن لم يُعلن صراحةً - على ظهر «المهدي المنتظر» .

-٦-

لقد استنكر رجال دين إيرانيون كُثر ، توريط أحمدي نجاد لـ «المهدي المنتظر» ، فيما تفعله إيران اليوم بقيادته . وأن عدداً كبيراً من رجال الدين الإيرانيين انتقدوا أحمدي نجاد ، لقوله «إن يد المهدي المنتظر تُرى بوضوح في إدارة شؤون البلاد كافة .»

---

(١) صحيفة «ميهن» الإيرانية ، عدد ٩٦ ، ٢٠٠٦ .



وقال حجة الإسلام غلام رضا مصباحي ، المتحدث باسم «جمعية رجال الدين المقاتلين» ، المحافظة ، والمتشددة :

«إذا كان أحمدي نجاد ، يريد أن يقول ، إن الإمام الغائب يدعم قرارات الحكومة ، فهذا ليس صحيحاً .»(١)

وأضاف :

«من المؤكد أن [المهدي المنتظر] ، لا يُقرُّ التضخم الذي بلغ ٢٠٪ وغلاء المعيشة ، والكثير من الأخطاء التي ترتكبها الحكومة .»

كما اعتبر رجل الدين المحافظ ، حجة الإسلام علي أصغري عضو كتلة «حزب الله» في البرلمان الإيراني :

«من الأفضل لأحمدي نجاد الاهتمام بمشاكل المجتمع ، مثل التضخم والتركيز على الشؤون الدنيوية .»

ونصحه في تصريحات نقلتها صحيفة «اعتماد مللي» بـ «عدم التدخل في الشؤون الدينية ، والإيحاء أن إدارة البلاد يتولاها الإمام الغائب .»(٢)

-٧-

كان أحمدي نجاد ، منذ أن تولى الحكم ، وهو في هاجس

---

(١) موقع جريدة «أخبار اليوم» ، على الانترنت ، ٢٠٠٩/٨/٢٩ .

(٢) سيافوش قاضي ، مراسل وكالة الأنباء الفرنسية في طهران ، في مقاله «أحمدي نجاد : يدُ المهدي المنتظر تدير الشؤون الإيرانية» ، موقع Middle East On Line .



«المهدي المنتظر» ، إلى حد أنه قال :

«إن الإمام المنتظر يزوره أسبوعياً .»(١)

وقال أمام العالم كله ، في خطابه في الأمم المتحدة في خريف ٢٠٠٥ ، أنه :

«شعر بهالة من النور تحيط به .»

وتحدث طويلاً عن عودة «المهدي المنتظر» ، مما دعا رجل دين إيرانياً كبيراً كالإصلاحي آية الله يوسف سعاني إلى انتقاد «اللجوء المتزايد إلى الخرافات» بحدة ، وذلك في نقد مبطن لنجاد .

فهل يستمر أحمدي نجاد في الاستنجاد بـ «المهدي المنتظر» ، لكي يغطي المزيد من أخطاء حكومته ، وفشلها في إنقاذ إيران من الكوارث؟

---

(١) موقع «سودان أون لاين» .



عمر بن الخطاب شيخاً للأزهر!

من المعروف أن الدين الإسلامي - كباقي الأديان السماوية الأخرى - جاء بشقين: شق ديني عقائدي توحيدي ثابت لا يتغير، وشق متغير تضمّن حزمة من القوانين والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية، لكي يهتدي بها الإنسان، الذي كان يعيش في ذلك الزمان. وكان لهذه القوانين والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية سياقها ومبرراتها، التي كانت قائمة في ذلك الوقت، وفي ذلك المجتمع. فالأديان كأي شرائع أخرى، تضع قوانينها ونصوصها، بما يتلاءم والمجتمع المُراد تطبيق هذه القوانين فيه.

فلا يُعقل أن يوضع قانون أو نظام اجتماعي لأهل الجزيرة العربية مثلاً، بكل ما لديهم من مواصفات وعادات وتقاليد وتراث.. الخ، لكي يُطبّق على أهل مصر، وإلا اقتضى الأمر أن تكون هذه القوانين وهذه الأنظمة ذات طابع تعسفي، يسهل مخالفتها واختراقها.

الأنظمة ليست عابرة للتاريخ

كذلك، لا يُعقل أن توضع قوانين اليوم لكي تطبق بعد ١٥



قرناً ، دون مراعاة تغيُّر وتبدُّل المجتمعات وقيمها المختلفة . ولنا مثال واضح على ذلك ، وهو الدول الفيدرالية المعاصرة كأمريكا ، وكندا ، وألمانيا ، وسويسرا وغيرها . فكل إقليم أو ولاية ، في هذه الدول ، له نظامه الصحي ، والتعليمي ، والإداري ، الاجتماعي ، المختلف عن الآخر . فما هو مسموح به في هذه الولاية أو الإقليم ، غير مسموح به في الولايات ، أو الأقاليم الأخرى ، وهكذا .

وعندما جاءت الأديان السماوية بأنظمتها الاجتماعية والاقتصادية ، جاءت لإصلاح علاقات اجتماعية واقتصادية ، كانت مُضرَّة بالإنسان في ذلك الوقت . وما كانت هذه الأنظمة والقوانين إلا للإصلاح . ولكن هذا لا يعني أن الإنسان فيما لو سنَّ بعد ذلك لمجتمعاته قوانين جديدة ملائمة تحميه ، وتيسِّر حياته ، حتى وإن كانت لا تتطابق مع تلك القوانين الدينية السابقة ، يكون قد كفر بالدين ، وخرج من الملّة!

معنى الدين

فكل ما هو سماوي أو أرضي لصالح الإنسان ، هو من الدين ؛ لأن الدين لم يأتِ إلا للإصلاح وسعادة الناس .

والدين في اللغة معناه الجزاء . ومعظم الأديان تتساوى في الجزاء والثواب . وعليه فكل نظام إصلاحي رباني أو إنساني هو جزء من الدين . فالأديان ليست نصوصاً ربانية فقط ، ولكنها نصوص من صنع الإنسان أيضاً . وهناك أديان أرضية غير سماوية كالبوذية ، والهندوسية ، والكونفوشسية ، والسيخية ،



والجينية ، والزرادشتية ، وغيرها ،[١] منها ما كان قبل الأديان السماوية ، وما زالت باقية حتى الآن ، تدعو وتحضّ على الصلاح ، وخير الإنسان .

التركيز على ما يرفع شأن الدين

واجب رجال الدين في هذه الحال ليس تقريع الناس ، وتهديدهم بالنار صبحاً ومساءً ، والتفتيش في أركان الدين المظلمة عن أقوال ومواقف تُلقي الفزع والرعب والكراهية والتنفير من الدين ، في قلوب الناس ، بدلاً من الإنارة والتركيز على الأقوال والمواقف التي ترفع من مقام الدين في كل عصر ، وخاصة في عصرنا الحديث ، الذي بدأ فيه العلم واكتشافات العلم ، وبدأت فيه القوانين الوضعية الاجتماعية والاقتصادية الإنسانية تأخذ مكان الكثير من القوانين والأنظمة الدينية ، التي لم تعد تتماشى ونظام الحياة الإنسانية في هذا العصر . ولم يعد العَلْماء هم علماء الدين فقط . وهذه ليست سُبّة في حق الأديان ، بقدر ما هو اعتراف أن الأديان بقوانينها وأنظمتها الاجتماعية والاقتصادية ، قد أدت دورها المرحلي كاملاً في حقبة من حقب التاريخ الإنساني . وأن القوانين الوضعية

---

(١) يقول الفيلسوف المصري مراد وهبة في كتابه (**الأصولية والعلمانية**، ص ٩) ، إن هناك ١١ ديناً في العالم هي : البوذية ، والهندوسية ، والكونفوشسية ، والسيخية ، والجينية ، والزرادشتية ، والشنتوية ، والبهائية ، والمسيحية ، والإسلام ، و اليهودية .



الاجتماعية والاقتصادية الإنسانية الحالية هي جزء أيضاً من الدين الجديد الذي يشترك في إقامة أركانه السماء والأرض معاً، وليست السماء وحدها، كما كان الحال في الماضي السحيق، عندما كان الإنسان جاهلاً وخائفاً وقليل المعرفة، وغير قادر على التغيير والإصلاح، في لحظة تاريخية معينة.

لكي لا تتكرر المهازل الدينية

لكي لا تتكرر المهزلة الدينية، التي أثارها الشيخ عزت عطية، أحد شيوخ الأزهر، بفتواه المضللة(١) التي أساءت إلى الإسلام أمام نظر العالم، وأمام نظر كثير من المسلمين أيضاً، ولكي لا يتم الحفر في أعماق النصوص الدينية المنسية، وربما المزوّرة، والتي - ربما - نسيها من عاش بعد الإسلام بمائة عام، وليس بـ ١٥٠٠ عام كما نحن الآن في هذا العصر، ويثير كل هذا الغبار، وكل هذا اللغط، معتمداً على فتاوى لعصور سابقة من فقهاء فرديين، ذوي مصالح سياسية واجتماعية ومالية، فإننا نقترح أن يتقدم الأزهر بمشروع لإقامة (المجلس الأعلى للفتاوى الإسلامية) بحيث لا تصدر أية فتوى في العالم الإسلامي في شرقه أو في غربه، إلا بعد مناقشتها وإقرارها من هذا المجلس(٢)، الذي يضمُّ ممثلين من سائر أنحاء العالم

---

(١) فتوى «إرضاع الكبير».

(٢) أصدر الملك عبدالله بن العزيز آل سعود في أغسطس ٢٠١٠ أمراً بحصر الفتاوى الشرعية في «هيئة كبار العلماء» فقط. ونأمل أن تأخذ ==



الإسلامي . وبحيث تُصبح الفتوى جماعية الرأي ، وليست فردية ، تعبّر عن رأي أو موقف فردي ، لفقيه أو داعية . أما أن تصبح الفتاوى كما كانت في العصور السابقة فردية ، تخضع للاجتهادات الشخصية ، والأهواء الخاصة ، والمصالح الفردية ، والضغوط السياسية والاجتماعية والمالية ، حيث لم يكن تموضع الإسلام في العالم على هذا النحو ، ولم يكن الإسلام يهم غير المسلمين في ذلك الوقت ، في حين أصبح الإسلام الآن كدين ، وسياسة ، وتعليم ، واقتصاد ، واجتماع ، وقيم أخلاقية ، في كل ذاكرة من العالم ، وأصبح العالم الآن في الإسلام ، بعد أن كان الإسلام في العالم ، فكل هذا من شأنه أن يثير عواصف الغبار ، ويسيء إلى الإسلام إساءة كبرى .

عصر الخيارات الكثيرة

قال أحد القراء المتدينين المتشددين ، تعليقاً على فتوى الشيخ عزت عطية :

«إن شرب أبوال الإبل جاء في حديث نبوي شريف ، والإبل حيوان عاشب على كل حال ولا يأكل الجيف والقاذورات . لقد أظهرت الدراسات الطبية الحديثة أهمية بول الإبل في علاج بعض الأمراض المستعصية بإضافة بعض المواد الأخرى ، وقد يتم تصنيفها في شكل أدوية تباع في الصيدليات .»

= البلاد الإسلامية بمثل هذه الخطوة المهمة ، حفاظاً على روح الإسلام ، ومنعاً للمتاجرة بالفتاوى .



ربما يكون الأمر صحيحاً ، في وقت لم يكن هناك بديل دوائي علمي ، غير بول الإبل للشفاء . ومن فقَدَ الماء الآن في الصحراء يشرب بوله هو شخصياً ، حيث لا بديل غير الموت عطشاً . ولكننا الآن نعيش في «زمن البدائل» والخيارات الكثيرة ، بفضل تقدم العلوم والعقل البشري الذي قطع مسافة ١٥٠٠ سنة في التفكير ، والاختراع ، والإبداع وإنتاج البدائل ، لكي لا يكون أمامنا دواء شافٍ ، غير شرب بول الإبل!

كذلك ، فإن العقل البشري ، قد قدم لنا عدة حلول ، ووسائل ، وأنظمة ، وقوانين للحفاظ على عفاف المرأة ، وصيانة شرفها ، واحترام قيمها ، وسلامة المجتمع من الاعتداءات الجنسية الهمجية ، لكي لا يكون الحجاب والنقاب وإرضاع الكبير هو الحل الوحيد أمامنا لحماية المرأة من الهمجية الجنسية ، كما كان الحال في الماضي السحيق ، واستدعى مثل تلك الفتاوى .

وقس على ذلك أمور كثيرة حولنا ، فيما لو كنا من قوم يعقلون .

النصوص وسياقها التاريخي

إننا بحاجة ماسة ، بل ملحة ، لتطبيق المنهاج التاريخي على النصوص ، وهو المنهاج الذي يضع النصوص ضمن سياقها التاريخي وبيئتها الأصلية . ويكشف بالتالي عن علاقتها بالمجتمع الذي ظهرت وطُبقت فيه ، ودواعي ومبررات هذا الظهور ، وهذا التطبيق .



كما أن الإسلام اليوم، بحاجة إلى عقول فقهية ليست مجرد حافظة تلقينية، ولكنها مبدعة، ومتفتحة وجريئة، لنسخ كل ما لا يصلح لعصرنا، كما فعل الخليفة الفقيه الشجاع عمر بن الخطاب، وفي وقت لم يجف فيه بعد حبر الرسالة النبوية، ولكن الظروف تغيّرت، والأحوال تبدّلت بسرعة، فكان عليه أن يُغيّر بعض النصوص المقدسة، ويوقف العمل بما لم يعد مفيداً للناس، بشجاعة وثقة المؤمن.(١)

فما بالكم الآن، ونحن على بُعد ١٥٠٠ سنة من هذه الرسالة، وقد تغيّرت الدنيا ١٨٠ درجة؟

إن الأزهر بحاجة إلى شخصية فقهية متفتحة وجريئة، كشخصية عمر بن الخطاب، لكي يُخلّص الإسلام من تركته الفقهية الثقيلة الفاقدة لصلاحية الاستعمال الآن، ويُسقط ما علق بهذا الدين من رواسب الماضي، وما لم نعُد بحاجة إليه، بل لقد أصبح ضرراً لنا، وعائقاً لتقدمنا، ومجالاً للسخرية منا، والضحك علينا.

فالفتاوى والنصوص القديمة، ذات الصلاحية التاريخية المُنتهية، هي كالطعام والدواء ذي الصلاحية المُنتهية، الذي يتحوّل إلى سُمٍ قاتل للناس، إذا لم يتم إتلافه.

---

(١) من النصوص المقدسة التي أوقف الخليفة عمر بن الخطاب «قطع يد السارق» في عام «الرمادة»، وكذلك «زواج المتعة».




مكتبة
الفكر الجديد

عار المثقفين الإسلامويين

كنتُ أنوي أن يكون عنوان هذا المقال «عارنا في العراق» ، أشرح فيه كيف ارتكب كثير من العرب والمسلمين العار بحق العراق ، نتيجة للمواقف السلبية الرسمية والشعبية من محنة العراق الكبرى التي ابتلي بها ، والمتمثلة في إفساد ونسف العرس الديمقراطي العراقي ، واستبداله بعرس الدم اليومي الذي يقام في العراق ، ويُزفُّ فيه كل يوم عشرات الشهداء من الأبرياء ، ومن رجال الشرطة والجيش العراقي .

إدانة للجميع

وحين كتب سارتر كتابه (عارنا في الجزائر ، ١٩٦١) لم يتملكه الحياء ، ولم تمنعه النعرة القومية الفرنسية - وهو المثقف الليبرالي النبيل- من أن ينتقد أمته (فرنسا) والجيش الفرنسي ، ويرميهما بالعار والشنار ، عمّا كانا يفعلانه بالشعب الجزائري . وندد بشدة بالحكومة الفرنسية وبالمثقفين اليمنيين الفرنسيين ، ووقف مواقف إيجابية تجاه المعذبين الجزائريين .

فماذا كان موقف المثقفين العرب - ومن ضمنهم أنا شخصياً - قبل التاسع من نيسان/ابريل ٢٠٠٣ ، من جرائم صدام حسين في العراق؟



لم ينبس أحد ببنت شفة عن ينددون الآن بفظائع صدام حسين ، ومن ضمنهم أنا شخصياً . بل لقد قام كثير من المثقفين العرب والمسلمين ورجال الدين بتمجيد هذا الحكم وتأليهه ، وكأنهم كانوا يقولون لنظام صدام حسين :

هل من مزيد لهذا التعذيب والاستبداد؟

مفكرون سياسيون يُمجِدُون الطاغية

وقام مثقفون وباحثون عرب بتأليف الكتب المُمَجِدَة للطاغية . ورصد الكاتب والأكاديمي الفلسطيني أحمد أبو مطر ، أكثر من ١٥ كتاباً ، أُلفت تمجيداً وتأليهاً لصدام حسين ، منها كتاب الباحث المصري أمير اسكندر ،(١) وكتاب العراقي هاني وهيب عضو المكتب الإعلامي لحزب البعث العربي الاشتراكي في بغداد ، ورئيس تحرير جريدة القادسية العراقية ، وجريدة الجمهورية العراقية ،(٢) وكتاب الصحافي اللبناني فؤاد مطر ،(٣) وكتاب الكاتب العراقي أنمار جاسم ،(٤) وغيرها من الكتب التمجيدية والتبجيليّة ، ذات الإنشاء الرخيص المرتَزِق ، التي رفعت بعضها الطاغية ، إلى مصاف الأنبياء ، أو الآلهة .

---

(١) «صدام حسين : مناضلاً ومفكراً وإنساناً» .

(٢) «صدام حسين القائد المفكر» .

(٣) «صدام حسين : الرجل والقضية والمستقبل» .

(٤) «صدام حسين وعبد الناصر» .



شعراء يرفعون الطاغية إلى مصاف الأنبياء

كما كنا نشهد كل عام، الملتقى الشعري العراقي الشهير (المربد)، الذي كانت تتقاطر عليه مواكب من الشعراء العرب الكلاسيكيين والحداثيين. وكنا نقرأ ونسمع شعراء السلطان المرتزقة، من نزار قباني، إلى عبد الرزاق عبد الواحد، وهم يُبجلون ويُمجدون الطاغية، دون أن يجرؤ أحدٌ منهم على نقده أو نقد حكمه، إلى الحدّ الذي ارتبط مهرجان «المربد» بالمقابر الجماعية، مما دفع ببعض المثقفين العراقيين إلى المطالبة بإلغاء هذا المهرجان في العهد العراقي الجديد. فهذا المهرجان كان واقعاً تحت أسر السلطة السياسية تماماً. ورأى النظام الفاشي السابق، أن عليه إرشاد الشعراء كيف يكتبون قصائدهم. والمذهل أن أحداً لم يمانع أو يقول ليست هكذا تكون القصيدة، بل على العكس من ذلك، سارعوا كبيراً وصغيراً بالموافقة، وتدوين ما تقوله السلطة لكن بالوزن، والقافية، والبحور.

لقد تحوّل الشعراء في مهرجان شعري، لمجرد ببغاوات، تحركها الساسة الفاشيون، كما قال ياسر عبد الحافظ في مقاله «ابتسامة السلطان وأحزان الناس.» (١)

مسئولية المثقف الكوني

كان المفكر العراقي الراحل هادي العلوي (١٩٣٢-١٩٩٨)، يسعى إلى تعريف للمثقف الكوني أو ما يُسميه بالمثقف

(١) موقع «الحوار المتمدن»، ٢٠٠٥/٩/٢٩.



القُطبـاني . وهو المثـقف الذي يملك لسـاناً ، وقلبـاً ، وعـقـلاً ، وحكمة .

فاللسان بلا قلب ، هو بمثابة العين في الظلام ، فلا تقشع .

والعقل بلا حكمة ، هو بمثابة الضوء للأعمى ، فلا يقشع ، على حد تعبير الإمام أبي حامد الغزالي .

وفي انتفاضة مايو ١٩٦٨ الفرنسية ، وضع الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو (١٩٢٦-١٩٨٤) تعريفاً للمثقف الكوني ، وهو المثقف الذي يملك الحقيقة والعدالة ، ويكون ضمير الجميع ويمثل الكل . ونتيجة للأحداث التي شهدتها فرنسا في الستينات ، مات المثقف التقليدي الذي كان خادماً للدولة ، والدين ، والمال . وتلاشت عتبة الكتابة التي كانت «عتبة مقدسة» لا يخطو عليها إلا القديسون أو «قساوسة الكتابة» الذين قال عنهم جوليان بيندا في كتابه ،[1] أنهم أولئك الذي يرون سعادتهم في ممارسة الفن ، أو العلم ، أو التأمل الميتافيزيقي . وقال ريمون آرون في كتابه ،[2] الشيء ذاته . وكان ادوارد بيرث قد كرر ذلك في كتابه .[3] وهذا ما فعله سارتر أيضاً بعد انتفاضة مايو ١٩٦٨ الفرنسية ، حيث قام بمراجعة أفكاره ، بعد أن شعر بالشكوك التي تمسُّ وجوده كمثقف . وخلال العامين ١٩٦٨-١٩٧٠ وضع سارتر تصوّراً جديداً لدور

---

(١) «خيانة القساوسة» ، ١٩٧٢ .

(٢) «أفيون المثقفين» ، ١٩٦٨ .

(٣) «مساوىء المثقفين» ، ١٩١٤ .



المثقف، لا يختلف عن تصوّر فوكو، وملخصه «أن المثقف محكوم عليه بالانسحاب من الأفق كإنسان يفكر بدل الآخرين.»[1]

المثقف رجل الروح الصارم

ما دفعنا إلى هذا الاستعراض هو تبيان أهمية دور المثقف في تشكيل الخطاب السياسي والاجتماعي، وخاصة في أزمنة المخاضات كالزمن الذي نشهده الآن. فالمثقف الحقيقي الحر، ليس رجل سياسة بالمعنى الدقيق للكلمة، بل رجل الروح الصارم. وهذه الروح هي مقياس كينونة المثقف فيه، وصيرورتها الدائمة، كما يقول المفكر العراقي الراحل هادي العلوي.[2]

وموقف المثقف العربي تجاه الحالة العراقية القائمة الآن، كان موقفاً فيه كثير من الكذب على النفس، وعلى الحقيقة، وعلى التاريخ كذلك. وهو العار، حيث تخلّى هذا المثقف عن دوره في دعم حرية الشعب العراقي، بينما هو ينافح عن حريات شعوب أخرى في أمريكا اللاتينية، وأفريقيا، ونواح أخرى من العالم. وكأن العراق أصبح معزولاً في كوكب آخر، لا يمسّه إلا الإرهابيون! واتخذ المثقف العربي القومجي المتعصب، والديني الأصولي (وهما يمثلان أكثر من ٩٥٪ من المثقفين العرب.

---

(١) محمد الشيخ، «المثقف والسلطة»، ١٩٩١.

(٢) ميثم الجنابي، «هادي العلوي - من الأيديولوجيا إلى الروح»، موقع «الحوار المتمدن»، ٢٠٠٥/٩/١٤



ومنتشران في وسائل الإعلام المؤثرة المختلفة) من الوجود العسكري الأمريكي في العراق حجة سياسية لكي يقف حيناً موقف المتفرج من هدر دماء العراقيين كل يوم، أو يقف حيناً آخر موقف المادح والمُشيد بمثل هذه الأعمال. وهذه المواقف ليست حباً في الإرهاب والإرهابيين في معظم الأحيان، ولكنها كيد لأمريكا، وللسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، كما يقول ويبرر هؤلاء المثقفون.

ما زالت الدنيا بخير

ولكن، رغم هذا الظلام الفكري والثقافي، ورغم هذه التعمية الإعلامية التي تجتاح العالم العربي من أقصاه إلى أقصاه، ورغم هذا الفزع والخوف الذي اجتاح ويجتاح العالم العربي أنظمةً ومثقفينً من الزلزال العراقي المفاجيء والقوي، فلا زلنا نرى في ليل العرب الكالح بصيص أمل ونور، وأصوات عقلانية تعيد الوعي، أو جزءاً من الوعي للعقل العربي.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، يشير المفكر التونسي هشام جعيط في حوار مع الكاتبة آمال موسى، إلى أن دخول الأمريكان إلي العراق أمر ايجابي. ولكنه استدرك قائلاً، بأنه ليس إيجابياً في المطلق، طبعاً.

وأضاف جعيط بقوله:

«كنت أتفهم أن الوطن العربي لن يتطور نحو الديمقراطية إلا بالقوة، لذلك لا بد من قوى خارجية».

ويقول جعيط:



«إن كثيراً من الناس كانوا يعتبرون أن الاحتلال الأمريكي للعراق غير شرعي ، ولكن هذا من الناحية القانونية . فصدام ليس كغيره من الدكتاتوريين لأنه شنّ حروباً ضارية غير شرعية على إيران ، وغزا الكويت . فهو ديكتاتور غزو واحتلال . ومن هذه الوجهة تصبح تنحيته شرعية .»[1]

أصوات الحقيقة

ورغم هذا الظلام العربي الكالح ، يبدو لنا من بعيد ، أن هناك بصيص نور وقافلة تنوير ، عندما نقرأ مقالات المفكر القطري المستنير عبد الحميد الأنصاري ، والمفكر الكويتي الليبرالي الراحل أحمد البغدادي وغيرها من المقالات العقلانية الليبرالية النادرة ، التي كانت كعين الماء في الصحراء العربية المقفرة من الفكر ، والواقعية السياسية ، والرؤية التاريخية الصادقة .

ومن يطّلع على تساؤلات الباحث السوري مفيد مسوح ، يجد بصيص أمل باقٍ في العقل العربي ، ومنها :

«ألم تمسخ طروحاتُ الأحزاب الدينية النضالَ الوطني ، ومقاومةَ الاحتلال ، واستغلالِ احتكارات العالم الرأسمالي لطاقات الشعوب الفقيرة المتواضعة ، عندما حوّلتها إلى مقاومة دينية ، وجهاد ديني ، في سبيل الله ، حارمةً إياه الصفة الوطنية النبيلة ؟

---

(١) منجي الخضراوي ، «القدس العربي» ، لندن ، ٢٠٠٥/٧/١٣ .



ألم تتقاطع برامج الأحزاب الدينية ، التي تدّعي الوسطية والابتعاد عن الأصولية ، مع حركات أصولية رجعية ، ذات أهداف سياسية ، تتنافى مع العصر ومفاهيمه ، وتروّج للعنف ، ولاستخدام الوسائل اللاإنسانية في التعبير عن برامجها؟

ألم يُعلن أصحاب مراكز إفتائية في هذه الأحزاب ، تأييدهم المطلق للعمليات الانتقامية ، مهما كان شكلها ووسائلها وضحاياها ، لأنها تأتي بإرادة عُلْوية؟

ثمّ كيف لنا أن نصف هذا الجهاد بالديني في ساحة تتنوع انتماءات أفرادها؟

وهل الطفل الفلسطيني الذي يفجّر نفسه في حافلة ، يقوم بهذا العمل انتقاماً لله؟(١)

فهل يحتاج الله إلى الأطفال ، ينتقمون لعقيدته ، بهذه الطريقة؟

وكم من الأطفال سيتطلب الأمر إلى أن يشاء الله؟

وهل قدّم المحرضون أطفالهم ضحايا لهذه الأعمال الشريفة؟

هل قطعُ أعناق الرهائن المختطفين مبرَّرٌ أيضاً ، إرضاءً لله؟

---

(١) أفتى الشيخ يوسف القرضاوي ، أن اشتراك الأطفال في الانتفاضة الفلسطينية جهاد ، موضحاً أن هناك نوعين من الجهاد : أحدهما جهاد الطلب ، وهو فرض كفاية لا يخرج إليه كل الناس . والآخر فرض عين ، إذا اغتصب أرض المسلمين ، وجب على المسلمين جميعاً أن ينفروا ، فيخرج الولد دون إذن والديه . وأن هؤلاء الأطفال الأشبال أسود ، تتباهى بهم الأمة ، جريدة «الأهرام» ٢٠٠١/٤/٢٦ .



وهل يرضي الله وأحزابه أن يجنِّدَ متخلّفون وأفرادُ عصابات لمحاربة الشعب العراقي، وعرقلة خطة تحرر وطنه، وعمليات إعادة بنائه، بعد أن حطّمه الفكر الصدامي والطائفية البغيضة؟»[1]

الثقافة المنغلقة والهذيان الجماعي

ما يجري الآن من تزوير للتاريخ في الثقافة العربية المعاصرة، حيال ما هو قائم في العراق، هو أشبه بهذيان جماعي، كما وصفه المفكر التونسي العفيف الأخضر. ويرد العفيف الأخضر سبب هذا الهذيان الجماعي المرفوض أخلاقياً، ودينياً، وسياسياً، إلى «الثقافة المنغلقة والانتحارية، السائدة في مجتمعاتنا، والغياب الفاجع للفكر النقدي عن فكرنا السائد. وأن حماس النخبة المثقفة لهذه العمليات الانتحارية يُلقي أضواءً كاشفة على تجذّر هذه الثقافة في سلوكياتنا، وتخيلاتنا.»[2]

من جهة أخرى، بلغ تزوير الحقيقة حداً كبيراً من قبل كثير من المثقفين سواء في الشرق أو في الغرب، عندما قالوا إن لا حل لمشكلة الإرهاب إلا بالتحاور مع الإرهابيين. ويضرب لنا

---

(١) مفيد مسوح، تخريب الأديان عمل رجعي معادٍ للتطور، موقع «الحوار المتمدن»، ٢٠٠٤/٧/١٤.

(٢) العفيف الأخضر، «المثقفون والعمليات الانتحارية: هذيان جماعي»، جريدة «الحياة»، لندن، ٢٠٠٢/٨/١٩.



بعضهم[1] مثلاً بما حصل في جنوب إفريقيا . فالنظام العنصري في جنوب إفريقيا ، كان يرفض لعقود التحدث مع «المؤتمر الوطني الإفريقي» الذي يتزعمه نيلسون مانديلا ، تحت الذريعة الواهية ، وهي أن أعضاء «المؤتمر الوطني» كلهم «إرهابيون» . لكن عندما شرعت حكومة البيض عام ١٩٩٠ في إجراء المحادثات مع نيلسون مانديلا ، وجدوا حزب «المؤتمر الوطني» مستعداً لدخول العملية السياسية على أساس عادل ، يعتمد مبدأ شخص واحد ، صوت واحد . وقد استطاعت جنوب إفريقيا بفضل النهج الذي اتبعه حزبِ «المؤتمر الوطني» بجماهيره المنضبطة والمنظمة ، أن تؤمن انتقالاً سلساً نحو الديمقراطية .

ابن لادن ومانديلا

فهل أسامة بن لادن بمثل قامة ، ومن قماشة مانديلا ، لكي يتم التحاور معه؟

وهل جماعة الزرقاوي يرقون إلى فكر وحداثة «حزب المؤتمر الوطني» ، لكي يتم التحاور معهم؟

وهل يوجد بين العرب كلهم الزعيم المتسامح والمتصالح مع نفسه ، وشعبه ، وأعدائه ، كما فعل مانديلا بالبيض في جنوب إفريقيا؟

وأين هي الجماعات الإرهابية الأصولية العربية التي لديها الاستعداد للالتزام بالديمقراطية ، والمشاركة السياسية ، لكي يتم

(١) هيلينا كوبان ، في جريدة «كريستيان ساينس مونيتور» ، ٢٠٠٥/٦/٣٠ .



التحاور معها، وهي التي تعرض عن كل هذا، بل وتكفّر كل من يمارسه، من الأحزاب الأخرى؟

لماذا هذا الموقف من المثقفين؟

وبعد، فهل موقف كثير من المثقفين العرب مما يجري الآن في العراق، والذي وصفناه بالعار، مرده كراهية المثقفين للشعب العراقي، أم مرده خوف العرب من أن يتكرر «الفيلم» العراقي في بلادهم،[1] أم مرده تعلّق النخب العربية بحكم الطاغية وعطاياه، ومطاياه، وكوبونات النفط، التي فضحتها جريدة «المدى» العراقية في ٢٠٠٤، أم كراهية بقوى المعارضة العراقية، التي استقوت بالتدخل الأجنبي، وخاصة بأمريكا؟

أظن أن السبب الأخير هو السبب الرئيسي لعار المثقفين في العراق.

شواهد الاستقواء بالخارج

ولكن، ما بال الذاكرة العربية المثقوبة تنسى أو تتناسى، أن العرب على مدى تاريخهم الطويل قاموا بالاستقواء بالخارج، لغلبة بعضهم على بعض؟

فقد استقوى الرسول عليه السلام بالأنصار، من أهل المدينة

---

(١) وهو ما حرص جيران العراق على قوله، لذلك قاموا بتشويه وتزوير «الفيلم» العراقي، وإشراك الإرهابيين في تمثيل أدواره الرئيسية، وإخراجه بهذا الإخراج الدموي الفظيع.



المنورة، على أبناء جلدته، وعشيرته من قريش.

واستقوى الشريف حسين قائد «الثورة العربية الكبرى» بالإنكليز وحلفائهم، للتخلص من الحكم العثماني، خلال الحرب العالمية الأولى.

واستقوى السلطان المغربي حفيظ بن الحسن الأول بفرنسا، لحماية عرشه.(١)

واستقوت مصر بأمريكا والاتحاد السوفيتي، لرد العدوان الثلاثي عنها عام ١٩٥٦. واستقوى الأفغان بأمريكا وأوروبا، لمقاومة الحكم الشيوعي في أفغانستان.

واستقوت الكويت بأمريكا ودول العالم، لتحريرها من قبضة صدام حسين عام ١٩٩١.

والأمثلة للاستقواء بالخارج، لا حصر لها في التاريخ العربي القديم والحديث.

فلماذا ينكر كثير من المثقفين العرب على العراقيين الاستقواء بقوات التحالف، لإسقاط طاغية، كان لا يمكن إسقاطه إلا بالاستقواء بالخارج؟

يا لعار هؤلاء المثقفين، وضيق بصرهم، وفقدان بصيرتهم.

---

(١) بموجب معاهدة الحماية الفرنسية، ١٩١٢.



العقل العربي و«الملحمة» الكاريكاتيرية

-١-

أعلن الشيخ يوسف القرضاوي، أن يوم الجمعة (٢٠٠٩/١/٢)، هو يوم الغضب العالمي لمسلمي العالم أجمع. وشدد في خطبة الجمعة، على ضرورة الاستمرار في مقاطعة الصناعات الدنماركية.

وجاء إعلان الشيخ القرضاوي، في ظل موجة عارمة من الاحتجاجات، والمظاهرات، ومقاطعة المأكولات الدنماركية، في أنحاء مختلفة من العالم العربي والإسلامي وسحب بعض السفراء من الدنمارك، وإحراق الأعلام الدنماركية في الشوارع، وكأننا أمام حرب مواجهة مع الدنمارك، أو كأن القيامة ستقوم غداً نتيجة لرسوم الكاريكاتير التي نشرتها صحيفة «جيلاند بوستن» الدنماركية.

والسؤال هنا: هل كان ما قام به المسلمون في العالم العربي والإسلامي وأوربا من احتجاجات على هذه الرسوم، هو الطريق الصحيح لكي تعترف الدنمارك بذنبها، وتعترف الصحيفة الدنماركية بالفعل «الشائن»، الذي اقترفته بحق رمز كبير من رموز الأديان السماوية، وهو النبي محمد عليه السلام؟



-٢-

لقد قام المسلمون في مختلف أنحاء العالم برد فعل عاطفي متشنج أهوج ، لم يؤدِ إلا إلى مزيد من الإمعان في الخطأ الدنماركي ، وانتقاله إلى الغرب . فقد أدت هذه الاحتجاجات على المستوى الرسمي والشعبي إلى زيادة انتشار هذه الرسوم في العالم ، وإبلاغ الحاضر للغائب والداني للقاصي . وانتشرت على صفحات الانترنت ، وفي معظم صحف العالم ، ومنها العالم العربي ،(١) ما عدا الإعلام الأمريكي الذي امتنع عن إعادة نشر هذه الصور ، واكتفى بالتعليقات على ما جرى ويجري .

فتشنجات المسلمين في الشوارع العربية والإسلامية وفي الدوائر الرسمية العربية ، هي التي نشرت الرسوم من نطاقها الدنماركي المحلي المحصور والمعزول في بلاد الصقيع إلى نطاقها العالمي ، وهي التي جعلت فضيحة سرية محصورة بجريدة في آخر أصقاع الدنيا ، إلى فضيحة عالمية بـ (جلاجل) .

-٣-

أما كان أولى بالعقل العربي ، أن يتمهل في كيفية علاج هذا الخطأ الإعلامي الدنماركي الفردي ويحاصره ، ويحصره في أضيق دائرة ممكنة ، كأن ترسل «منظمة العالم الإسلامي» مثلاً وفداً من العقلاء للالتقاء بهيئة تحرير الصحيفة الدنماركية ، ويشرحوا لها بهدوء وبعقلانية ، أضرار مثل هذه الرسومات على

(١) صحيفة «شيحان» الأردنية مثالاً .



العلاقات العربية - الدنماركية، وحجم النتائج الوخيمة المترتبة عليها، ويطلبوا منهم الاعتذار عن هذه الرسوم، دون إقحام الحكومة الدنماركية في هذا الأمر، حيث لا سلطة للدول الديمقراطية على الصحافة؟

أما كان الأجدر، أن تتحرك الجامعة العربية، وترسل وفداً دينياً ثقافياً، إلى هيئة تحرير الجريدة، لكي تشرح لهم أبعاد الإساءة التي أحدثتها هذه الرسوم في نفوس العرب والمسلمين ومدى تأثير هذه الإساءة على العلاقات الدنماركية - العربية. وبأن الشعب الدنماركي سوف يدفع ثمناً غالياً، نتيجة لنشر مثل هذه الرسوم؟

أما كان الأجدر أن يتم تحركٌ ديني أزهري مع تحرك من «منظمة العالم الإسلامي» نحو الفاتيكان وبهدوء وتعقُّل، للاتصال بالبابوية، وشرح أبعاد هذه الإساءة لمشاعر العرب والمسلمين، والطلب من البابوية الاعتذار نيابة عن الجريدة الدنماركية؟

-٤-

كان يمكن أن يتم مثل هذا، وغيره من الخطوات، لو جنح العقل العربي إلى الحكمة، والموعظة الحسنة.

ولكن باعتبارنا أمة هيجاء وصحراء، ولا نعرف غير الكرَّ والفرَّ، لجأنا إلى الشارع لكي نُعبِّر عن ردِّ فعلنا لما حصل. وكانت نتيجة ذلك، أننا نبَّهنا العالم، ولفتنا نظره إلى هذه الرسومات، فقامت وسائل الإعلام في الشرق والغرب بإعادة



نشر هذه الرسوم . ومن لم يُعِد نشرها اكتفى بالتعليق عليها ، لكي يدفع القارئ إلى البحث عنها ، والنظر إليها . وهكذا خسرنا معركة جديدة تضاف إلى خسائرنا لمعارك سابقة إعلامية وسياسية وعسكرية .

فنحن الخاسرون دائماً وأبداً .

-٥-

وماذا بعد؟

نحن نطالب الدنمارك بالاعتذار ، والدنمارك قد تعتذر الآن . ولكن ماذا عن العالم الآخر الذي نشر الرسومات ، وعلّق عليها التعليقات الطوال .

هل نطلب من العالم كله أن يعتذر لنا؟

ثم لماذا كل هذا التشدد والتشنج على رسومات سخيفة ، أرادت الجريدة الدنماركية من ورائها زيادة مبيعاتها؟

وهل هذه الرسومات هي التي أساءت فعلاً إلى الإسلام والمسلمين في العالم؟

ماذا عن ضحايا البرجين ، الثلاثة آلاف ويزيد ، في كارثة ١١ سبتمبر ٢٠٠١؟

ماذا عن كل الأعمال الإرهابية ، التي ارتكبت في لندن ، ومدريد ، وعواصم أفريقية وعربية ومنتجعات آسيوية وعربية؟

ماذا عن الرؤوس البريئة التي قطعها الإرهابيون بالسيوف على شاشات الفضائيات ، وفي مواقع الانترنت؟

ماذا عن مئات الكتب التاريخية التي تصدر في الغرب



والشرق ناقدة للدين الإسلامي؟

ماذا عن مئات المستشرقين الذين قاموا بتشويه صورة الإسلام في العالم؟

ماذا عن مئات الروايات ودواوين الشعر الغربية والعربية، التي مسّت الإسلام بسوء ما؟

-٦-

يبدو أن مسألة «الملحمة» الكاريكاتورية ليست في ذاتها. وأن الرسومات الدنماركية كانت القشة التي قسمت ظهر البعير، كما يقولون. وأن الموقف الغربي من السلاح النووي الإيراني، ومن فوز «حماس»، ومن المطالبة بنزع سلاح «حزب الله»، ومن الأزمة السياسية ككل في العالم العربي، هو الذي فجَّر هذه «الملحمة» الكاريكاتيرية. والدليل أن هذه الرسومات نُشرت منذ خمسة أشهر قبل فضحها، ولم يسمع بها أحد، ولم يلتفت إليها أحد.

والدليل أيضاً، أن ما كتبه سلمان رشدي في (آيات شيطانية) كان أعمق أثراً، وأكبر إساءة إلى الإسلام، ونبيه الكريم من هذه الرسومات، إلى الحد الذي دفع الخميني، - دون بقية فقهاء العالم الإسلامي - لإهدار دمه في ١٩٨٩. وكان ذلك أيضاً في ظل ظروف دولية وإقليمية تحيط بإيران.

وكما ساعدت فتوى الخميني في انتشار (آيات شيطانية) بحيث أصبحت أشهر رواية في العالم في ذلك الوقت، وما زالت، وبيع منها ملايين النسخ، بعد أن كان الناشرون خائفين



من الخسارة فيها ، ومترددين في نشرها ، لأنها كانت رواية تافهة وسخيفة فنياً ، ومن أسوأ ما كتب رشدي فنياً وروائياً ، فكذلك ساعد القرضاوي ، وجملة من الفقهاء ، وتصرفات الشارع العربي ، والجهات الرسمية التي سحبت سفراءها من الدنمارك على انتشار هذه الرسوم في جميع أنحاء العالم ، وتأكيد نيّة كتّاب وإعلاميين أجانب لكتابة كتب وأبحاث عنها غداً !

نحن العرب أصحاب الهيجاء والهوجاء والصحراء ، يجب أن نعتذر لأنفسنا ولروح نبينا ، لأننا سبب هذه الضجة الكبرى التي أحدثناها بحمقنا ، وعدم استعمال العقل فيما نواجه من مشاكل .



الشيخ فركوس وتحريم الزلابية

-١-

قالت الأخبار، إن شيخاً في الجزائر، أصدر فتوى في بداية شهر رمضان ٢٠٠٨ بتحريم أكل الزلابية في شهر الصوم، مما أثار ضجة كبيرة في الشارع الجزائري. وقال الجزائريون أن لا رمضان ولا صيام بدون الزلابية، التي اعتادوا على أكلها في مثل هذا الشهر الكريم من كل عام، كما يأكلونها في كل مناسبة سعيدة كالأعياد، والأعراس، ومناسبات طهور الأولاد، والمناسبات الدينية الأخرى.

وقالت الأخبار، إن الشيخ فركوس صاحب هذه الفتوى، قد أنكر فتواه، بعد هذا الاحتجاج العام. لكن جريدة «الخبر الأسبوعي» الجزائرية، أكدت أن «الكثيرين من مريدي الشيخ، حرموا أنفسهم من أكل زلابية رمضان، باعتبارها من بدع الصيام، كما أفتى الشيخ فركوس»، «ولأنها من البدع التي أُدخلت على الدين». وأوردت الصحيفة ما اعتبرته دليلاً على إصدار الشيخ فركوس لفتوى تحريم الزلابية، فقالت إن الفتوى موجودة في كتاب (٤٠ سؤالاً في أحكام المولود) للشيخ محمد علي فركوس.

وقالت الصحيفة، «إن فتوى الشيخ جاءت في الصفحة



السادسة من الكتاب كالتالي : «عمل بعض الحلوى كالزلابية أو العصيدة أو نحوها من الحلويات ، التي تُخصص للمولود يوم سابعه ، وعمل الحلوى يحتاج إلى دليل شرعي .»

-٢-

صناعة الحلوى والتفنن في صنعها دليل مدنية وتحضّر وتقدم الأمم . والزلابية التي أفتى الشيخ فركوس الجزائري بتحريمها ، حلوى عربية ، ويمكن أن يكون أصلها فارسي . ويُظن أنها كانت في أفواه العرب قبل الإسلام ، وبعد الإسلام . وقد وصفها الشاعر التصويري المعروف ابن الرومي(١) بقوله :

رأيته سحراً يقلي زلابية
في رقة القشر والتجويف كالقصب
يُلقي العجين لجيناً من أنامله
فيستحيل شبابيكاً من الذهب

ويُظن أن معظم أنواع الحلوى التي عرفها العرب في العصرين الأموي والعباسي وما بعدهما ، جاءت من بلاد فارس والروم . فإجادة صنع مختلف أنواع الحلوى ، دليل على التقدم في الذوق والصناعة ، ولذا ، كانت ألذ أنواع الشيكولاته هي الشيكولاته السويسرية ، وألذ أنواع الحلوى العربية الآن (تركية في أصلها) هي الحلوى اللبنانية التي مدحها أمير الشعراء شوقي ، بقوله في حلوى البُحصلي اللبنانية المشهورة :

---

(١) كانت والدته فارسية .



اثنان حـدّث بالحـلاوة عنهـمـا
ثغر الحبيب وطعم حلو البُحصلي

-٣-

وبعيداً عن الزلابية وأشجانها ، نسأل :

هل لاحظتم كثرة الفتاوى الدينية هذه الأيام؟

فتاوى بالعشرات كل يوم ، في شؤون الجنس ، والنساء ، والكساء ، والغطاء ، والغذاء ، والصلاة ، والصوم ، والقيام ، والقعود ، ودخول الحمام ، والخروج منه ، وفي النوم والصحو ، وفي كل ما يمارسه الإنسان في يومه وليله ، علماً أن تعاليم الإسلام الحنيف قد جاءت قبل ١٥ قرناً ، وأصبحت مفهومة ، ومعروفة ، وحفظها القاصي والداني عن ظهر قلب ، وورثها الأبناء عن الآباء ، والآباء عن الأجداد .

فكأن العالم ينشأ لأول مرة ، وكان الإنسان يُوجد في هذا العالم لأول وهلة .

فما معنى ذلك ، وما دليل ذلك؟

معنى ذلك ، أن الحاجة الماسة إلى رجل الدين ، تشتد دائماً في زمن التخلف ، والجهل ، والخوف من العلم ، والخشية من اللامعلوم ، واللامعروف . وقد قرأنا في تاريخ الكنيسة أن طلب الفتاوى الدينية من رجال اللاهوت في العصور الوسطى المظلمة ، كان أكثر بآلاف المرات من طلبها في عصر التنوير والثورة الصناعية ، إلى أن كادت تختفي في هذا العصر .

كذلك ، الفتاوى الدينية الإسلامية ، في عصر الانحطاط ،



فقد كانت أكثر بمئات المرات منها في عصر التنوير . والقارىء لتاريخ الفتاوى الدينية ودورها في حياة المسلم ، يرى أن كَمَّ الفتاوى كان قليلاً جداً في العصور التنويرية ، كعصر الخليفة المأمون مثلاً ، في حين أنها ازدادت وازدهرت في عصور الانحطاط كعصر المماليك .

-٤-

كذلك هو الحال في مطلع القرن العشرين ، ومطلع القرن الحادي والعشرين . فنلاحظ أن سواد الناس في مطلع القرن العشرين ، وهو عصر بدء نهضة عربية لم تكتمل ، قد ابتعدوا عن رجال الدين ، ولم يبتعدوا عن الدين . فقد وجدوا الإجابة عن أسئلتهم لدى المفكرين الحداثيين ، الذين كانوا في تلك الفترة . في حين أن سواد الناس ، في الثمانينات من القرن الماضي وما بعدها ، قد اقتربوا من رجال الدين ، وابتعدوا عن الدين ، وزادت أسئلتهم لرجال الدين ، وقلّت أسئلتهم للدين نفسه .(1) وهذه علامة ودليل واضح من أدلة الانحطاط الذي

---

(١) لهذه الظاهرة أسبابها الكثيرة منها :

١- فشل الأحزاب السياسية في تحقيق أهدافها ، التي كانت تدعو إليها في شعاراتها .

٢- هزيمة العرب العسكرية ١٩٦٧ .

٣- فشل الأنظمة العربية المدنية التي جاءت بعد الاستقلال في النصف الثاني من القرن العشرين في تحقيق ما تصبو إليه الجماهير . ==



نحن فيه الآن ، والذي دفع بالشيخ فركوس الجزائري إلى إصدار فتوى دينية بتحريم الزلابية ، كما دفع بعدد من الشيوخ إلى إصدار فتاوى كان لها الأثر السيء على الدين ، وخاصة في الغرب .[١]

-٥-

كثرة الفتاوى الدينية سواء كانت إسلامية أو مسيحية أو يهودية ، دليل واضح على اختفاء دور السياسيين ، والمثقفين ، والعَلْماء ، والخبراء ، لكي يحلَّ محلهم الفقهاء فقط .

وهي دليل على كثرة الخلافات ، وكثرة الآراء ، وتفاهة الأسئلة ، وسذاجة الأجوبة ، وجهل السائلين ، وتضارب الأقوال ، وضياع الحقيقة ، وكلها مؤشرات لعصر الانحطاط!

وكثرة الفتاوى الدينية ، دليل واضح على الفساد المُستشري في الحياة العربية ، بين الناس وبين السلطة أيضاً . ويقول الشيخ محمد الراوي :[٢] «إن كثرة الفتاوى الدينية في أي عصر دليل على الفساد المستشري . وقد عَلِمْنا أن أبا بكر خلال خلافته ،

== ٤- فشل الغرب وخاصة أمريكيا في حل القضية الفلسطينية والمساعدة على إقامة الدولة الفلسطينية .

(١) على رأس هذه الفتاوى : «فتوى إرضاع الكبير» ، و«فتوى شرب بول البعير» ، و«فتوى تحريم الانتخابات» ، وغيرها . ومن الملاحظ أن نسبة قليلة من المسلمين من يلتزم بهذه الفتاوى أو بغيرها .

(٢) عضو مجمع البحوث الإسلامية ، والأستاذ في جامعة الأزهر .



قد ولّى عمر بن الخطاب القضاء، فجاء عمر إلى أبي بكر بعدها بعامين، وقال: «يا أبا بكر لقد ولّيتني القضاء ولم يأتني أحد». «وهذا دليل على أن الناس كانت تعرف الصواب من الخطأ، دون حاجة للسؤال، وللفتوى، وللمقاضاة.»[1] أما الآن فقد أصبح سواد الناس كالعميان، يريدون من يقودهم في كل الطرقات.

-٦-

إن كثرة الفتاوى وتضاربها وتعارضها مع مصالح الأفراد اليومية، جعلت قسماً كبيراً من الناس يضرب بهذه الفتاوى عرض الحائط، ولا يهتم بها. ويقول الكاتب السعودي عبد العزيز السماري: «إن عدم اكتراث المجتمع لبعض الفتاوى، عندما تقتضي مصلحته غير ذلك، واقع لا يمكن تجاوزه، فكثير من فتاوى التحريم تمَّ تجاوزها، والأدلة على ذلك كثيرة، ومن أهمها على سبيل المثال تحريم الصور الفوتوغرافية، فالمجتمع والمفتون الجُدد، تجاوزوا ذلك، ولم نعد نسمع فتاوى تشدّد على تحريمها، كذلك تحريم مشاهدة التلفزيون، وتركيب أجهزة استقبال القنوات الفضائية تمَّ تجاوزها. ويجب التفريق بين الحكم الشرعي الثابت وبين الفتاوى التي تحكم فيما لم يرد فيه نص شرعي ثابت.»[2]

---

(١) جريدة «الجريدة» الكويتية، ٢٠٠٨/٨/٣١.

(٢) جريدة «الجزيرة»، الرياض، ٢٠٠٨/٦/٢١.



الإسلامويون وسرقة المال العام




مكتبة
الفكر الجديد

وباء الدكتاتوريات الإسلامية يلتهم المليارات

مشكورة هي الدول الصناعية العظمى الثماني، التي زادت مساعدتها للدول الفقيرة، لتصل إلى خمسين مليار دولار، وتقوم في الوقت نفسه بإلغاء جزء كبير من الديون المتراكمة على الدول الفقيرة، كما أُعلن في قمة اسكتلندا (يوليو/تموز ٢٠٠٥). وهذا يُعدُّ في حد ذاته حدثاً كبيراً، ولكن لا ينبغي لنا أن ننخدع بالشهامة الظاهرية لهذا الإجراء. ذلك أن قدراً كبيراً من تلك الديون، ما كانت الدول الفقيرة قادرة على سداده على أية حال، بعدما أصبحت هذه الديون في حسابات وجيوب الدكتاتوريين من حكام الدول الفقيرة.

فمن الثابت تاريخياً، أن قدراً كبيراً من المعونات الأجنبية للدول الفقيرة، لم يكن يُقَدم لتعزيز النمو، بل لشراء الصداقات، وعلى نحو خاص أثناء الحرب الباردة، كما قال جوزيف ستيجليتز(١) في مقاله.(٢)

---

(١) الفائز بجائزة نوبل في الاقتصاد ٢٠٠١، وأستاذ الاقتصاد في جامعة كولومبيا، والنائب الأول السابق لرئيس البنك الدولي.

(٢) «نهاية بداية القضاء على الفقر»، نشرة «المركز الدولي لدراسات أمريكا والغرب»، ٢٠٠٤/٧/١٤.



أين ذهبت كل هذه المليارات، التي قدمها العالم الحر للدول الإسلامية الفقيرة في السابق؟

وما هو مصير هذه المليارات الخمسين التي ستملأ خزائن الحكام الدكتاتوريين في الدول الإسلامية الفقيرة؟

ولماذا لا يُعاد النظر في كيفية دفع هذه المليارات، حتى تكفل الدول المتبرعة وصول هذه المليارات إلى بطون الشعوب، وليس إلى جيوب وحسابات الحكام الدكتاتوريين في إفريقيا، وآسيا، والعالم العربي؟

ولماذا لا تكون هذه المليارات على شكل مشروعات زراعية، وصناعية، وصحية، وتعليمية، ولبناء البُنية التحتية للشعوب الفقيرة، تقوم بتنفيذها شركات من الدول المانحة، موصوفة بالنزاهة، والشفافية، والصدقية في التنفيذ، وعدم دفع رشاوى وعمولات، و(خوّات) للأجهزة الحاكمة الدكتاتورية السارقة، والناهبة، والمفسدة؟

ألم تسأل دول العالم المانحة لهذه المليارات من الدولارات، أين ذهبت المليارات السابقة التي قدمتها في السنوات السابقة للدول الإسلامية الفقيرة؟

أيها الكرماء، لا تدفعوا نقداً

لقد تساءلت الدول المانحة هذه الأسئلة، بعد أن سرق السارقون، ونهب الناهبون. وأدركت أخيراً ضرورة إصلاح حكومات الدول الفقيرة، وربط التبرعات بالإصلاحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية. وأنه «لا أحد



يريد أن يعطي نقوداً للدول الفاسدة، حيث الرؤساء يسرقون النقود، ويضعونها في جيوبهم، وحساباتهم.»[1]

إن الحكمة والرُشد، تقتضي أن لا تدفع الدول الغنية المتبرعة بهذه المليارات للدول الفقيرة نقداً، أو تضع هذه المليارات في حسابها في البنوك، لأن لا حسابات للشعوب في البنوك. فالدول هي الحكام، وليست الشعوب. وميزانيات الدول هي ميزانيات الحكام. ولا فصل بين المال العام والمال الخاص. فكله مال الحكام، ولا مال للشعوب.

لكي لا يسطو اللصوص على المليارات

إذا أرادت الدول المانحة أن ترى أثر نعمتها على الدول الفقيرة، فعليها أن تقدم لهم مشاريع تنموية، لا نقوداً.

عليها أن تُرسل لهم شركات المقاولات، لتبني لهم مدارس، ومعاهد، وجامعات. فالحكام الدكتاتوريون، لا يستطيعون سرقة حجارة المدارس والمعاهد والجامعات، وأبوابها، وفصولها، ومختبراتها، ومكتبتها، وأقلامها، ودفاترها.

عليها أن تُرسل لهم شركات المقاولات لتبني لهم المستشفيات، والمصحّات، والعيادات المتخصصة، وترسل لهم الأدوية. فالحكام الدكتاتوريون، لا يستطيعون سرقة أسرة هذه المستشفيات، وعياداتها، وأدويتها، وغرف عملياتها، ومعاطف

---

(١) الرئيس جورج بوش، في اجتماع قمة الثمانية الأغنياء الكبار G8 في اسكتلندا، يوليو، ٢٠٠٥.



أطبائها ، وسمّاعاتهم ، ولباس رأس ممرضاتها .

عليها أن تبني لهم الجسور ، وتمدّ لهم الطرقات ، بواسطة شركات المقاولات ، فالحكام الدكتاتوريون لا يستطيعون سرقة الجسور والطرقات ، وبيعها في سوق الخردة .

عليها أن تقضي على الأميّة ، وتبني المكتبات ، وتنشر الكتب ، والصحف الحرة ، والديمقراطية ، لكي تُعلّم الناس ألف باء الحرية ، وألف باء الديمقراطية ، وألف باء الحداثة ، وتبعدهم عن التعليم الديني الظلامي ، الذي يُفقّس الإرهابيين كل يوم ، كما يُفقّس البعوض يرقاته الهائلة العدد .

عليها أن تختار من شركات المقاولات ما عُرف بالنزاهة وعدم الرضوخ لإكراهات الحكام ، وأركان الأنظمة (أهل الزمان) الذين يتقاضون الرشاوى ، والعمولات ، و(الخوّات) . وأن تضع كل شركة تدفع فلساً أحمر لأي جهة حكومية أو رسمية في القائمة السوداء ، ويتمّ التشهير بها ، وبمن قبضَ وصرفَ .

آمال الخبراء الخائبة

بهذه الخطوات سوف ترى الدولة المانحة للهبات بمليارات الدولارات ، أثر نعمتها على الشعوب الفقيرة .

لذا ، فأنا أعارض شطب ديون الدول الإسلامية الفقيرة ، ما لم تتم إصلاحات سياسية تقتلع الدكتاتورية ، والحكام اللصوص ، من هذه البلدان ؛ لأن شطب هذه الديون يعني أن تصبح الأموال المسروقة ، التي في جيوب الحكام الدكتاتوريين حلالاً زلالاً على هؤلاء ، وتسمح لهم بسرقة المزيد من هذه



الأموال القادمة، في المستقبل.

كما أن تدفق هذه الأموال على الدول الفقيرة، يشجع الطامعين بالحكم من اللصوص للخروج من ثكنات الجيش واعتلاء سدة الحكم، لا حباً في السلطة وأخطارها، ولكن حباً بأموال السلطة، ونعيمها.

فهل تريد الدول الغنية المانحة أن تشجع الحكام الدكتاتوريين على مزيد من النهب والسرقة، لكي تشتري سكوت هؤلاء الحكام، ولكي تُمرر مخططات الاستعمار، كما يقول لنا الأصوليون الدينيون والقوميون؟

فماذا فعلت الدول الفقيرة بكل هذه الأموال، التي سبق وقدمتها الدول الغنية المانحة؟

أما أن يرى الخبراء، أن الدعم سيكون مفيداً إذا توفرت الخطط والإدارات المناسبة ومشاركة المواطن في صياغة المشروعات الإنمائية، وإذا توافرت أيضا شروط انفتاح أسواق الشمال والبلدان الغنية أمام منتجات البلدان الفقيرة، خصوصا تلك التي تكتسب ميزة التنافسية العالية مثل المنتجات الزراعية والصناعات التحويلية.. فكل هذه الخطط لضمان وصول الأموال إلى منافع الشعوب الفقيرة من صنع خيال الخبراء، الذين لا يدركون عتو وطغيان الحكام الدكتاتوريين للدول الفقيرة، وخاصة الدول التي تطلق على نفسها «إسلامية».



الجوع والموت رغم المليارات

لقـد أُطيح بالحكام الدكـتـاتوريين في بلادهم بالطرد ، أو بالموت ، أو بالاغتيالات . وقد سرقوا كل الهبات ، والمنح ، والأموال التي قُدمت لدولهم ، وأودعوها في حساباتهم في مصارف سويسرا . ولو كان لهذه المصارف ، أو لهذه الحسابات ، ألسنة تتكلم ، لسمعنا ما يشيب له الولدان!

نسوق مثالاً واحداً ، يكفي ، ويعفي ، ويوفي . فقد أصدرت المحكمة العليا في سويسرا أمراً إلى البنوك السويسرية بإعادة ٤٥٨ مليون دولار ، مودعة في حساب ديكتاتور نيجيريا السابق ساني أباتشي ، الذي مات من تأثير منشط «الفياجرا» . وكانت حكومة نيجيريا المنتخبة ، قد تقدمت بطلب للبنوك السويسرية والأوروبية للحجز على حسابات الحكام العسكريين ، وإعادتها للخزينة النيجيرية ، لتمويل الخدمات الصحية ، والتعليم ، والبنية التحتية .

يذكُر بعض الخبراء طبقاً لتقارير إعلامية ، نُشرت عشية قمة الدول الصناعية (يوليو/تموز ٢٠٠٥) أن ودائع أثرياء القارة الإفريقية في الخارج ، تصل إلى نسبة ٤٠٪ من ممتلكاتهم . لذلك ، فإن الشكوك تطاول أيضاً قدرة البلدان المعنية على الإفادة من الدعم الخارجي ، وبعضها يعتمد أساساً على المعونات الخارجية ، لكنه يفتقد القدرة على استيعاب المعونات الخارجية ، ولا يمتلك كفاءات وضع برامج الإنماء المطلوبة .

ولاحظ مراقبون ، أن مستوى دخل الفرد في بلدان الساحل الأفريقي (جنوب الصحراء) ، تراجعت إلى دون ما كانت عليه



في الستينيات، رغم عودة شبكات التلفزيون العربية للضغط في الأيام التي سبقت قمة الأغنياء في اسكتلندا (يوليو ٢٠٠٥)، ببثها تقارير ومشاهد، تصوّر اتساع مساحات الفقر والمجاعة في الدول الفقيرة.

أكثر الحكام فساداً

نشر البنك الدولي في الفترة الأخيرة، تقارير تبين لنا أن أكثر حكام الدول الإسلامية الفقيرة لصوصيةً، هم حكام «الدول العربية الإسلامية» الفقيرة. وأن «الدول العربية الإسلامية» المحتاجة للمساعدات، هي أكثر الدول فساداً، وتسيباً مالياً. ومن هنا، فقد ابتعد المستثمرون عن الاستثمار في البلاد العربية إلا ما ندر، ومن ضاق، ومن تهوَّر، ومن جَهِل!

ويقول مايكل كلاين: [1] «إن الدول الفقيرة التي تحتاج بشدة إلى المشروعات الجديدة وزيادة العمالة، تزداد تخلفاً عن الدول التي قامت بتبسيط الإجراءات، التي تساعد على خلق أُطر أكثر ملاءمة للاستثمار.» والسبب بكل بساطة، هو انتشار الفساد والرشاوى و(الخوّات) والعمولات .. الخ».

وجاء في بعض هذه التقارير، إن أفضل ٢٠ دولة اقتصادية بالنسبة للتعامل التجاري والاستثماري هي: نيوزيلندا، الولايات المتحدة، سنغافورة، هونغ كونغ، الصين، استراليا، النرويج، المملكة المتحدة، كندا، السويد، اليابان، سويسرا،

---

(١) نائب رئيس البنك الدولي، ورئيس الاقتصاديين بمؤسسة التمويل الدولية.



الدانمرك ، هولندا ، فنلندا ، ايرلندا ، بلجيكا ، ليتوانيا ، سلوفاكيا ، بوتسوانا ، وتايلاند .

ويلاحظ أن لا دولة عربية أو إسلامية بين هذه الدول . وهذا عائد إلى مدى استشراء الفساد ، والتسيب الإداري ، وانتشار الرشاوى ، و(الخوّات) ، وتقاضي العمولات الباهظة من المستثمرين الأجانب .

وما زلنا نبكي ونشتكي الفقر ، ولم نعلم أن كل ما يصيبنا هو من صنع أيدينا ، ومن أنفسنا ، حتى فقرنا وتعاستنا .



جدل الليبرالية والدولة المدنية

والتعليم الديني

(السعودية نموذجاً)




مكتبة
الفكر الجديد

جدل الليبرالية والدولة المدنية

في العام ٢٠٠٦ ، ثار جدل ثقافي سعودي مستعر ، حول محورين رئيسيين :

المحور الأول ، الدولة الدينية والدولة المدنية ، وهل السعودية دولة مدنية إسلامية ، أم أنها دولة دينية إسلامية؟

والمحور الثاني ، هو محور الليبرالية في الفكر السعودي المعاصر ، وهو محور كان قد أثير في الثمانينات (١٩٨٢-١٩٨٩) بين مجموعة من الشعراء ، والنقاد ، والكتاب والمثقفين الليبراليين الحداثيين وعلى رأسهم الراحل غازي القصيبي ، وعبد الله الغذامي ، وسعيد السريحي ، ومحمد العلي ، وعلي الدميني ، ومحمد الثبيتي ، وفوزية أبو خالد ، وعبد الله الصيخان ، ومحمد جبر الحربي ، وصالح الصالح ، وميجان الرويلي ، وعثمان الصيني ، وعابد خزندار ، وعبد العزيز مشري ، وخديجة العمري ، وغيرهم ، وبين مجموعة من المثقفين الأصوليين ورجال الدين السلفيين كمحمد عبد الله مليباري ، ونواف السبهان ، وعبد الله جفري ، وعلي العمير ، وعلي التمني ، ومحمد مفرجي ، ويحيى ساعاتي ، وعوض القرني ، وسلمان العودة ، وناصر المعمر ، وسفر الحوالي ، وغيرهم .



بُغاة الحداثة وغُلاة الدين

وفي هذه الفترة ، اعتبر الأصوليون الحداثيين بأنهم بُغاة ، كما قال عنهم عوض القرني . في حين اعتبر الراحل غازي القصيبي ، أن البُغاة هم الغُلاة ؛ أي الذين يغالون في الدين . وهؤلاء هم الغُلاة الجُدد ، ورثة الغُلاة القدامى ، الذين يمرقون في الدين مروق السهم من القوس .(١)

ويعتبر الحداثيون أن النكبة - لو حصلت - فلن تأتي من الحداثيين ، وإنما من الغُلاة في الدين ، وهم الذين قال عنهم الحديث النبوي :

«يأتي في آخر هذا الزمان قوم ، حدثاء اللسان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من قول خير البرية . يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية (القوس) ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة» .

تناقض الحياة السعودية

ولعل الملاحظة المهمة في ماضي الحوار السعودي ، فيما يتعلق بالليبرالية والدولة المدنية ، هو أن السعوديين يعيشون تناقضاً واضحاً في حياتهم . فهم مثلاً يقبلون بكل القيم والآليات والمفاهيم الاقتصادية الغربية ، بحيث أصبح نظام الاقتصاد السعودي نظاماً رأسمالياً غربياً مائة بالمائة ، وانتشرت

---

(١) «حتى لا تكون فتنة» ، ١٩٩١ .



البنوك السعودية ذات النظام الغربي «الربوية» - كما يطلقون عليها - في كل مدينة سعودية ، رغم معارضتها لما يُطلق عليه بالاقتصاد الإسلامي . ولم يُسمح بإقامة البنوك الإسلامية كما هو الحال في معظم العواصم العربية . في حين أن غالبية السعوديين ، يرفضون قيم الحداثة والليبرالية في المجال الثقافي والسياسي ، مما يشير إلى أن السعوديين نفعيون ، يقبلون ما ينفعهم نفعاً آنياً ، بينما يرفضون النفع المستقبلي المتمثل بقيم الحداثة ، والليبرالية السياسية ، والثقافية .

إشكالية فصل الدين عن الدولة

إن إشكالية فصل أو وصل الدين بالدولة ، لم تكن مشكلة متأصلة في الفكر العربي الكلاسيكي ، قدر تأصلها في الفكر العربي المعاصر . ولعل هذا يعود إلى ارتباط هذه المشكلة بالمشروع النهضوي ، الذي بدأ في القرن التاسع عشر عندما اصطدم العرب بغيرهم نتيجة الغزوات المتتالية من المغول ، والتتار ، والصليبيين ، وانتهاءً بالعصر الأوروبي الحديث . فوجدنا أنفسنا مع غزوة نابليون ، نُغزى من قبل قوة متقدمة علينا ، فرجعنا إلى ذواتنا ، نستبطن تاريخنا ، ونستقرئ حاضرنا ، كما نفعل اليوم .

ويعتقد بعض المفكرين العرب المعاصرين كمحمد عابد الجابري ، أن مشكل الدين والدولة ليس مشكلاً عربياً عاماً ، بقدر ما هو مشكل عربي إقليمي محدود ، يخصُّ منطقة معينة من العالم العربي ، دون غيرها . ويقول إن مشكل الدين والدولة



والفصل والوصل بينهما مشكلة خاصة ببلاد الشام، أثارها في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين المثقفون المسيحيون الشوام، ولا علاقة لمنطقة الخليج أو العراق أو المغرب العربي بها . كما أن بروز هذه المشكلة في مصر بين حين وآخر، هو من باب الموضات الثقافية والفكرية، التي تظهر ثم لا تلبث أن تختفي ثانيةً، ليعود الفكر المصري والثقافة المصرية إلى ارتداء جلباب الدين من جديد.(١) وهذا ما هو قائم في هذه الأوقات من مطلع القرن الحادي والعشرين .

شروط النهضة

ويعتقد بعض المفكرين العرب المعاصرين من ناحية أخرى، أن هناك زيفاً في ثنائية الدين والدولة في الفكر العربي المعاصر . وهذا الزيف يكمن في تمسّك كل طرف بما تعطيه مرجعيته معتبراً إياه الحقيقة الوحيدة الخالدة . في حين أن شروط النهضة ليست واحدة، بل هي متعددة ومتشابكة، وتتغير حسب الظروف والعصور . وكانت ثنائية الدين والدولة في الفكر العربي المعاصر مزيفة، لأنها تغطي مشاكل الحاضر، وتقفز عليها، وتطرح بدلاً عنها مشاكل أخرى تجعل حلها شرطاً للنهضة وضرورة مستقبلية .

ويرى محمد عابد الجابري، أن التخلص من هذا الزيف، يكمن في الفصل بين مشكل العلاقة بين الدين والدولة

---

(١) «المثقف العربي وإشكالية النهضة : رؤية مستقبلية»، ص ٤٦-٤٧ .



ومشكل النهضة والتقدم . وأن مسألة العلاقة بين الدين والدولة ليست قومية وإنما قطرية . وأنها يجب أن تُعالج - على ضوء المعطيات الواقعية الخاصة - في كل قطر عربي على حدة .[1]

السلطة في الدولة الدينية والمدنية

من جهة أخرى فإن معظم الذين نادوا بفصل الدين عن الدولة أو بوصل الدين بالدولة ، لم يكونوا مدركين تمام الإدراك الفرق بين طبيعة السلطة في الدولة الدينية وطبيعة السلطة في الدولة المدنية . وكان معظم الذين نادوا بوصل الدين بالدولة إنما يفعلون ذلك من أجل إجلال الدين وبيان قدسيته وتعظيم شأنه . وأن من نادوا بفصل الدين عن الدولة كانوا في معظمهم من الذين عظَّموا من شأن الدولة ، وآمنوا بقدرتها على سن القوانين والشرائع اللازمة لتسيير الحياة في المجتمعات . علماً أن لا دولة دينية في العالم العربي الآن ما عدا السعودية ، إلى حد ما . وأن الدين وإن كان يثبت في الدستور كـ(مسمار جحا) إلا أن الدول العربية الحديثة قد فصلت بين الدولة والدين وأبقت الدين حراً في المجتمع .

الفروق بين الدولة الدينية والمدنية

وقبل أن نستعرض الجدل الذي قام في السعودية ، حول الدولة الدينية والدولة المدنية وحول الليبرالية ، دعونا نستعرض

---

(١) محمد عابد الجابري ، «الدين والدولة وتطبيق الشريعة» ، ص ١٥٩ .



الفروق بين الدولة الدينية والدولة المدنية .

ففي الدولة الدينية يكون المشرّع هو الله ، والحاكمية لله ، والخلافة للجمهور . والحاكم في الدولة الدينية هو إمام الدين ، ورجل السياسة ، كما هو الحال في إيران مثلاً الآن . والحاكم/الإمام في الدولة الدينية ، لا بُدَّ أن يكون من قريش لقول الحديث الشريف : «الأئمة منا أهل البيت .» (١)

وتكون ميزة الحاكم في الدولة الدينية ، مدى تمسكه وتطبيقه لأحكام الدين . وفي الدولة الدينية لعلماء الدين وحدهم سلطة عزل الحاكم إذا جار . وهو نادراً ما يتم ، ويُترك الحاكم الجائر لعقاب الله دون الخروج عليه . ويمثل القرآن في الدولة الدينية التشريع الأساسي ، الذي يجب على السلطة اتباعه دون تغيير . والسلطة في الدولة الدينية دائمة وليست مؤقتة . وفي الدولة الدينية ، لا يُسمح بوجود معارضة إلى جانب السلطة . ويُسمح بسنٍّ التشريعات التفصيلية ، شريطة عدم مخالفة الدين ، وقواعده الثابتة .

أما في الدولة المدنية ، فيكون المشرع الأول هو الإنسان ، والحاكمية والخلافة تكون للجمهور . ويكون الحاكم هو رجل الدولة

---

(١) هذا الحديث النبوي ، فيه كثير من الشكوك في صحته . ومن الغالب أنه ظهر في العصر الأموي ، وليس في زمن الرسول ، أو عهد الخلفاء الراشدين . ولو ظهر في هذين العهدين ، لما كان أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين ، ولما كان عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين ، وهما من خارج آل البيت الهاشمي الذي ينتسب له الرسول الكريم .



السياسي ، الذي لا دخل له بالدين ، ويقف موقف الحياد تجاه كل الأديان . وهو الصالح لهذا المنصب بغض النظر عن أصله وفصله . وميزة الحاكم هنا مدى إجادته ، وعلمه ، وخبرته في إدارة شؤون الدولة . ولممثلي الأمة في البرلمان الحق في عزل الحاكم إن جار ، وهو كثيراً ما حصل ويحصل . ويُعاقب الحاكم من قبل الشعب وممثليه . ويمثل الدستور المدني في الدولة المدنية التشريع الأساسي الذي يجب على الدولة أن تتبعه . والسلطة في الدولة المدنية متغيرة ، ومؤقتة ، ومتداولة . وفي الدولة المدنية يُسمح بوجود معارضة ، وتعتبر هذه المعارضة هي حكومة الظل . ويُسمح بسنً التشريعات وبتغيير الدستور من وقت لآخر ، حسب الحاجة .

فهل حاول المتحاورون في السعودية تطبيق أي من هذه المبادئ على الدولة السعودية القائمة ، لكي يخرجوا بنتيجة ، فيما إذا كانت الدولة السعودية القائمة الآن دولة دينية ، أم دولة مدنية؟

تياران سياسيان سعوديان

هناك تياران سياسيان رئيسيان في الشارع السعودي :

الأول ، التيار الوطني الليبرالي ، وهو تيار قديم ينادي بالإصلاح ، ولكنه ضعيف متفرق ، ويمثله مجموعات من المثقفين وأساتذة الجامعات الذين درسوا في الغرب ، وكذلك مجموعة من الكتاب والباحثين والأدباء والشعراء والفنانين التشكيليين الليبراليين . ونجد هذا التيار قوياً قوة واضحة في الأدب والفن السعودي الحديث . ويردُّ بعض الباحثين أسباب



ضعف هذا التيار إلى قوة التيار الديني السياسي الذي اكتسح الساحة السعودية منذ مطلع الثمانينات .

أما التيار الثاني ، فهو ما يطلق عليه اليوم تيار «الصحوة» ، أو التيار السلفي/ الأصولي . وهذا التيار يتألف من الوعاظ وأساتذة المعاهد والجامعات الدينية المنتشرة بكثرة في السعودية ، ومن خطباء المساجد والكتاب والباحثين ورجال القضاء . وهم يسيطرون على جهازين رئيسيين في السعودية : التعليم ، والقضاء . ووجد هذا التيار في المجتمع السعودي - الذي هو متدين بالفطرة - تربة صالحة لنشر خطابه الديني والسياسي والاجتماعي بسرعة وقوة . . بينما ظل الخطاب الاقتصادي بعيداً عن هذا التيار ، وأصبح الاقتصاد السعودي كما هو واضح الآن ، اقتصاداً رأسمالياً غربياً خالصاً . وهذا التيار اشتد وبرز بعد ١٩٧٩ ، وبعد أحداث الحرم المكي ، وقيام ثورة الخميني ١٩٧٩ ، ونشوب الحرب العراقية - الإيرانية ١٩٨٠ ، وقيام صدام حسين بغزو الكويت ١٩٩٠ . ثم برز بشكل واضح وأصبح إعصاراً شديداً بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ . وقد كان لهذا التيار مواقف مشهودة في داخل السعودية وخارجها . ففي داخل السعودية وقف هذا التيار ضد قرار الحكومة السعودية بالاستعانة بقوات أجنبية لإخراج صدام حسين من الكويت . وأخيراً وقف ضد قرار الحكومة بتوظيف النساء في محلات بيع الملابس والعطور النسائية ، وضد مناقشة مجلس الشورى السماح للمرأة السعودية بقيادة السيارة . وفي الخارج كان له دور كبير في تحرير أفغانستان من القوات السوفيتية ، وقيام دولة طالبان هناك .



أسس التيار الليبرالي

للتيار الليبرالي أسس ثلاثة :

أولاً ، أن الإسلام كمنهاج وشريعة ، هو السقف الذي يتحرك تحته .

ثانياً ، أن الوحدة الوطنية هي مسؤولية الجميع حكاماً ومحكومين .

ثالثاً ، أن القيادة السياسية القائمة الآن هي الضامن للوحدة الوطنية .

ويقول الكاتب السعودي خالد الغنامي «إن هذا التيار يقف على أرض صلبة في المجتمع السعودي ، وينطلق من رؤية واضحة للحياة الاجتماعية والسياسية . وأن الاتهامات التي توجه إلى التيار الليبرالي السعودي بأنه كافر ليس صحيحاً . وليس صحيحاً أيضاً أنه داعية للتغريب في داخل المجتمع الأم ، فيما لو نظرنا لليبرالية كتيار عريض بسط رؤيته في كل مكان من العالم المعاصر ، وأن الليبرالي السعودي يلتقي مع الليبراليين في العالم في نقاط كثيرة ، فيما يتعلق بمفهوم الحريات التي تنتهي عند حرية الآخرين .»(١)

خطاب «أهل الصحوة»

دعونا الآن ، نستعرض بعض أقوال «أهل الصحوة» ، من

---

(١) «الاعتزاز بالمجتمع الليبرالي السعودي» ، جريدة «الوطن» ، أبها ، ٢٠٠٦/٥/٣ .



المتشددين الأصوليين ، فيما يتعلق بالدولة الدينية والمدنية :

- «يجب أن ندرك تعارض الدولة المدنية مع الشريعة الإسلامية من عدة جوانب . فالدولة المدنية قد تعتبر دينية فقط ، حين تُغيّر في بعض تشريعاتها والعكس . لا يوجد شيء اسمه قيم مطلقة ، لا في الدولة الدينية ولا في الدولة المدنية . وفي المفهوم الإسلامي ، فإن رجل الدولة هو نفسه رجل ملتزم بالدين والقوانين . ومرجعية الدولة في الإسلام ليست إلى كهنوت معين وإنما إلى القرآن والسُنّة . والدولة السعودية القائمة الآن هي دولة دينية ومدنية في الوقت ذاته . فهي دولة دينية من حيث أنها تستمد أصولها من الشريعة . وهي دولة مدنية من حيث فكرها ، وتطلعاتها ، ومساحة الحرية فيها .»(١)

- «إن الدولة المدنية ، تنبذ الشريعة الإسلامية ، وترفض الاحتكام للقرآن والحديث النبوي . وذلك على عكس الدولة الدينية .»(٢)

- «إن الدولة السعودية ، دولة إسلامية دينية ، ولكنها ذات منهاجية خاصة . فلا هي كهنوتية ، ولا هي إيرانية ، ولا هي دولة طالبان السابقة في أفغانستان .»(٣)

---

(١) إبراهيم الجوير (أستاذ علم الاجتماع بجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض ، وعضو مجلس الشورى . وهو من الدينيين المعتدلين) . «الوطن» السعودية ، ٢٠٠٦/٥/١٢ .

(٢) عبد العزيز المقحم (أحد شيوخ «الصحوة» السلفية الأصولية) .

(٣) سعيد البريك (من زعماء التيار الديني المتشدد) .



ردود الليبراليين والمعتدلين

أما أقوال الليبراليين، والمعتدلين، فتتخلص في التالي:

- لا ننكر أن هناك مجموعة من الأمراء السعوديين هم من الليبراليين، كالأمير تركي الفيصل السفير السعودي (السابق) في واشنطن، الذي كتب مقالاً[1] رداً على الشيخ عبد الله التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلام، الذي يقول إن «ولاة الأمر هم الحكام وعلماء الدين». ومن هذه المجموعة أيضاً، الأمير طلال بن عبد العزيز (رئيس برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية) (أجفند) الذي كتب في جريدة «الشرق الأوسط» كذلك[2]، وفي الفترة نفسها مقالاً، تحت عنوان «ولي الأمر بين الحاكم والعالم»، قال فيه: «إن ولي الأمر هو الحاكم وليس العالم. ودعوة أن يكون من بين ولاة الأمر علماء الدين، دعوة لا تتعدى أن تكون ذريعة من جانب البعض لأن ينالوا سلطة سياسية، ونفوذاً لم يقره لهم الإسلام، ولا يبرره المنطق السليم، أو الفطرة السياسية البسيطة.» ونلاحظ من خلال ما كتب الأميران السعوديان: تركي الفيصل وطلال بن عبد العزيز، أن الأسرة المالكة السعودية تستبعد أن تصبح السعودية دولة دينية كإيران، يحكمها جزء من رجال

---

(١) تركي الفيصل، «الولاة هم الحكام، وطاعتهم واجبة أما العلماء فهم مستشارون»، جريدة «الشرق الأوسط» ٢٠٠٢/١٠/١٠.

(٢) طلال بن عبد العزيز، «ولي الأمر بين الحاكم والعالم»، جريدة «الشرق الأوسط»، ٢٠٠٢/١/٢٩.



الدين . وهي دعـوة ترفض كـذلك إشـراك رجـال الدين في الحكم ، وتعمل على إبعادهم عن السياسة . وقـد كـان ذلك واضحاً في اختيار أعضاء مجلس الشورى ، منذ أول مجلس للشورى عام ١٩٩٢ وحتى الآن .

- يقول المستشار الشرعي والقانوني منصور الهجلة ، «إن الدولة المدنية لا يمنعها أن تكون دولة متدينة وليست دينية . فأمريكا تعتبر دولة متدينة وليست دينية . بمعنى أنها تعتمد في كيانها السياسي والاجتماعي على أساسين . الأول ، القيم والأخلاق والدين ، وهي جميعاً المكوّن الفلسفي لثقافتها . والأساس الثاني ، الإجراءات الإدارية لنظم ومؤسسات الدولة والمجتمع المدني ، الذي يعود في الغالب إلى ممارسات وتجارب سياسية وإدارية ، وصلت في الغالب إلى نضج عال كالبرلمانات التي تحاسب الحكومات المنتخبة ، والفصل بين السلطات ، والحريات المسئولة في كشف الفساد . وهذه التجارب هي لُب الحرية في الإسلام .»(١)

- ويقول الكاتب الليبرالي قينان الغامدي في نقاشه مع الداعية الديني الأصولي سعد البريك : «إن الدولة السعودية دولة مدنية ، تستمد دستورها وقوانينها وأنظمتها من الإسلام ، وليست دولة دينية يحكمها رجال الدين ، كما هو الحال في إيران .»(٢)

---

(١) منصور الهجلة ، «الدولة الدينية لا يمنعها أن تكون متدينة ، وليست دينية» ، موقع «منتديات مطير التاريخية» ، ٢٠٠٥/١٠/١٦ .

(٢) قينان الغامدي ، جريدة «الوطن» السعودية ، ٢٠٠٦/٥/١٥ .



- ويقول الكاتب الليبرالي شتيوي الغيثي : «إن الذين يحاولون أن يطرحوا الدولة الدينية على أرض الواقع ، داخل اللعبة السياسية ، على أنها الدولة التي تجسد فكرة دولة الإسلام من خلال تفسيرات أحادية النظرة للدين والتشريع الإسلامي ، فإنهم يبنون هذه الدولة على سراب . وهم يقعون في المأزق الكنسي ، حين مارست الكنيسة مثل هذا الدور في العصور الوسطى المظلمة .»(١)

- أما الكاتب والباحث في تاريخ الإسلام حسن فرحان المالكي ، والذي كتب عدة كتب في نقد التاريخ الإسلامي منها : « الصحبة والصحابة بين الإطلاق اللغوي والتخصيص الشرعي» ، و كتاب «نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي» وغيرهما من الكتب ، فيقول : «إن الدولة الدينية أو الدولة المدنية كلتاهما لها وظيفة واحدة في المجتمع فيما يتعلق بالناس ، وهي تحقيق العدالة . وكل دولة تقترب من العدالة فهي أقرب إلى الإسلام من أية دولة أخرى ؛ لأن وظيفة الدولة هي العدالة بكل تشعباتها ، وتداخلاتها مع القضايا ذات الصلة بها وبحياة الناس . وكل طريق يسهم لتحقيق مزيد من العدالة والحقوق فهو مطلوب من الدين والمدنية .»(٢)

---

(١) شتيوي الغيثي ، جريدة «الوطن» السعودية ٢٠٠٦/٨/١٩ .

(٢) حسن فرحان المالكي ، «حول المجتمع المدني ، والديني ، وسالفة البريك وقينان . . . للمتابعين فقط» ، جريدة «الوطن» السعودية ، ٢٠٠٦/٥/١٥ .



الحوار الهادئ والجدل المفيد

إن أهم ما يميز هذا الجدل السعودي في هذه القضايا ، وقضايا أخرى على صفحات الصحف ، هو الانضباط الثقافي والأخلاقي ، بعيداً عن لغة الشتائم ، والسب ، والإسفاف ، واللغو . فلقد تعلم الليبراليون خاصة ، دروساً كثيرة من التجربة المرّة التي مروا بها في الثمانينات ، والتي رصدناها في كتابنا (نَبْتُ الصمت ، ١٩٩٢) . فقد أصبحوا الآن أكثر واقعية من قبل ، وأصبحوا أكثر اتزاناً ، وتعقلاً . والشعر الذي كانوا ينظمونه في الثمانينات ، والذي كان مليئاً بإشارات فُسرت بأنها ضد الدين ، بحيث استغلت هذه الإشارات من قبل السلفيين ، لم تعد بكثرة كما كانت في السابق ، والتي دفعت كاتباً أصولياً كعوض القرني لأن يضع كتاباً تحت عنوان (الحداثة في ميزان الإسلام ، ١٩٨٨) اتهم فيه كل الكتاب والليبراليين في داخل السعودية وخارجها بالزندقة والكفر والإلحاد . أما اليوم فالليبراليون السعوديون من خلال هذه التجربة الطويلة ، أصبحوا أكثر واقعية وتعقلاً من ذي قبل ، سيما وأن شباب الأمس منهم أصبح اليوم في سن المشيب ، والتفهم .



التعليم الديني وأثره على الإرهاب

إن البداية الحقيقية لأي مشروع إصلاحي سياسي ، لا بُدَّ أن تكون انطلاقاً من التعليم ومن المناهج التعليمية السائدة الآن في العالم العربي . والإصلاح السياسي على وجه الخصوص لن يتم إلا بإصلاح التعليم أولاً . وهو الآن ملجأنا في أيام الشدة ، كما قال أرسطو .

فالأحرار هم المتعلمون ، والعبيد هم الجهلة .

من هنا تبدأ الحرية والديمقراطية

ومن المدرسة تبدأ الحرية والديمقراطية ، وليس من باب البرلمانات ، ومجالس الأمة والشعب . وعلينا أن نتذكر جيداً أن مطلب تغيير مناهج التعليم ، أو بالأحرى إصلاح مناهج التعليم العربية كان مطلباً عربياً منذ نصف قرن وبعد الاستقلال مباشرة ، قبل أن يكون مطلباً أمريكياً أو غربياً بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ . فقد كنا نحن العرب ، في أمس الحاجة إلى تغيير المناهج الدراسية تغييراً جذرياً نحو الحداثة التعليمية ، ونحو الحداثة العلمية أيضاً .

إن الطالب العربي الذي يتخرّج من الجامعة العربية اليوم ، طائر خشبي ، لا يقوى على الطيران ، لأنه لم يزود بالعلم الذي



يمكّنه من التحلّيق، والإبداع، والخلق، والإنتاج في مجتمعه. وقد قلت هذا،[1] وقاله قبلي تربويون عرب متعددون.

دور العرب في إصلاح التعليم

ما هو الدور العربي في إصلاح التعليم العربي، والذي هو أساس كل إصلاح؟

الدور العربي يتركز في فهم أهمية التعليم وليس التلقين، كما سبق وقال وزير التربية السعودي محمد الرشيد: «إن أسلوب التلقين الببغائي، الذي لم نجنِ منه إلا الحنظل، لا بُدَّ من هجره، وإن الحكمة ليست مقصورة علينا. إن المسلمات التربوية التي كنا نؤمن بها قبل ٣٠ عاماً، قد اختلفت، ولم تعد مصدر التلقي الوحيد، بل سُحب البساط من تحت أرجل الكثيرين منا، كوسائل الإعلام والاتصال.»[2]

إن التعليم ليس شهادات ودبلومات ودرجات علمية فقط، ولكنه عملية تنموية مستمرة أثناء الدراسة وبعدها، وحتى الممات. كما يتركز هذا الدور على الانفتاح التعليمي الحداثي الذي يتلخص في فتح أبواب التعليم أمام كل العلوم ومصادرها دون استثناء، وعدم تدخل الأيديولوجيا الدينية والأيديولوجيا

---

(١) شاكر النابلسي، «الطائر الخشبي: شهادات في سقوط التربية والتعليم المعاصر»، ١٩٨٨.

(٢) محمد الرشيد، «أسلوب التلقين الببغائي لم نجنِ منه إلا الحنظل»، جريدة «الشرق الأوسط»، ٢٠٠٢/٢/٣.



القومية في مناهج التعليم أو التأثير عليه ، أو فرض إيديولوجيا الدولة مهما كانت .

إن الدور العربي كذلك ، ينسحب على نشر التعليم التكنولوجي ، أو ما يُسمّى بالتربية التكنولوجية .

ولعل الطلب الكبير على الشباب الهنود ، دون الباكستانيين - الغارقين في التعليم الديني السلفي - للعمل في الخارج وخاصة في أمريكا ، حيث أصبح وطنهم الثاني وادي (السيلكون Silicon Valley) في ولاية كاليفورنيا ، كان سببه الرئيسي اعتماد الهند للتربية التكنولوجية ، وتدريسها بشكل واسع ، حيث أنشأت الهند عشرين جامعة متخصصة في علوم الكومبيوتر فقط .

الدور الأمريكي

أما الدور الأمريكي - إذا كان هناك دور حقاً - فيتلخّص بشدة في أن تقوم أمريكا بدعم الدول العربية التي تضع إستراتيجية حديثة ومعاصرة لتطوير التعليم والتربية العربية من أجل تأهيل (مواطنين لا رعايا)[١] بالمال ، والتقنيات ، والمرشدين ، والمُعلّمين والخبراء ، وكل ما يلزم لعملية التطوير التربوي والتعليمي في هذه الدول . وربط المساعدات الخارجية الأمريكية بكل أشكالها بمدى تحقيق وتطبيق هذه

---

(١) عنوان كتاب صدر عام ١٩٦٤ ، للمصلح الديني والسياسي خالد محمد خالد (١٩٢٠-١٩٩٦) .



الاستراتيجيات التربوية والتعليمية . كما يتلخّص هذا الدور الأمريكي ، في منح عدد كبير من المنح الدراسية العلمية ، والاقتصادية ، والإنسانية ، لأبناء الدول التي تتبنى الاستراتيجيات الحديثة في التعليم والتربية . وعدم الاقتصار على المنح الدراسية في شؤون الأمن ، والعسكرتاريا فقط ، كما كانت تفعل أمريكا في الماضي مع الدول العربية الصديقة والحليفة .

تطوير التعليم الطريق إلى الديمقراطية

بهذه الوسائل لا بقوة السلاح ، تستطيع أمريكا أن تهيئ التربة الصالحة للزرع والنْبت الديمقراطي في العالم العربي . وهو وضع يختلف عما ساد في اليابان وألمانيا وكوريا الجنوبية بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث لم تكن في كتب التعليم ووسائل التعليم في هذه البلدان نصوص مقتطفة من كتب كُتبت بسبب نزاعات سياسية ودينية ، جرت قبل أكثر من ١٥٠٠ سنة ، وتستخدم هذه النصوص اليوم ، لأغراض الخلاف السياسي والعقائدي نفسها ، علماً أن العالم اليوم ليس عالم القرن السابع الميلادي ، ولا الخلافات السياسية والعقائدية هي نفسها في ذلك الزمان . وهو ما فعلته وطبّقته مصر بحكمة في مناهجها التعليمية في ١٩٧٩ بعد معاهدة كامب ديفيد ، حيث أعلن جودة سليمان (المستشار التعليمي المصري) أن المناهج التعليمية المصرية السابقة كانت تهدف «إلى غرس روح الكفاح والانتقام في نفوس الشباب المصري ضد إسرائيل ، وذلك بالتركيز على



أحداث معينة مثل ضرب مدرسة «بحر البقر» وغيرها . ولكننا ثأرنا لأنفسنا في حرب ١٩٧٣ وانتهى الموضوع . لذلك طهّرنا المناهج والكتب .»[1] وهو ما قامت به أيضاً السلطة الفلسطينية بعد اتفاقية أوسلو ١٩٩٣ ، حيث جرت تغييرات محدودة في المناهج التعليمية منها عدم كتابة اسم فلسطين فوق المساحة التي تشغلها إسرائيل منذ ١٩٤٨ ، وإلغاء المواد التي تنصُّ على إزالة إسرائيل من الميثاق الوطني الفلسطيني .

فالإصلاح السياسي ، والاقتصادي ، والاجتماعي ، والثقافي في العالم العربي أساسه الإصلاح التربوي والتعليمي . والإصلاح التربوي والتعليمي ، لن يتم إلا بالطرق التعليمية والتربوية الحديثة بكل ما يعنيه هذا المصطلح .

الإرهاب وعلاقته بالتعليم

كانت مشكلة الإرهاب وما زالت في العالم العربي مشكلة عسيرة ، تستدعي حلاً جذرياً . فقتل إرهابي أو ألف ، وسجن إرهابي أو مليون ، لن يحل مشكلة الإرهاب التي خير تمثيل لها ، هو أن الإرهاب عبارة عن مجار صحية (طافحة) ، وما الإرهابيون إلا بعوض الناموس أو (النامس) ،[2] المُعشش في هذه المجاري ، إن قضيتَ على ألف بعوضة بعلبة (بخاخ) ، ظهرت في اليوم التالي آلاف أخرى من البعوض ، ما دامت هذه المجاري

(١) أحمد أبو مطر ، «أهمية إصلاح التعليم في العالم العربي» ، ٢٠٠٨ .

(٢) في لغة أهل نجد .



مفتوحة ، وما دامت هذه المجاري (طافحة) ، يُعشش فيها بعوض الناموس . فلا بُدَّ من ردم هذه المجاري ، وإصلاحها أولاً ، قبل مكافحة بعوض الناموس ، الذي يتكاثر بصورة كبيرة ، ما دامت هذه المجاري مفتوحة و(طافحة) .

لا شك ، أن أنظمة التعليم المتخلِّفة في العالم العربي ، وفي دول الخليج على وجه الخصوص ، كانت من الأسباب الرئيسية لانطلاق الإرهاب ، فهي التي ربّت الإرهابيين على تكفير الآخر ، ومحاربة الآخر ، وكراهية الآخر .

ولا شك ، أن المناهج التعليمية العربية ، التي كانت متخلّفة في الخمسينات والستينات ، بسبب تركيزها الأساسي على المواد الدينية التحفيظية والتلقينية ، وعدم تركيزها على العلوم الطبيعية ، والرياضيات ، والاقتصاد ، والفلسفة ، والمنطق ، والفنون ، وعلوم الأديان المقارنة ، وعدم اهتمامها بتدريس اللغات ، كانت من أسباب وجود تربة صالحة ، ومجار (طافحة) ، صالحة لتربية بعوض الإرهاب .

الدور السعودي في انتشار الأصولية

أدى السعوديون دوراً حاسماً في انتشار الأصولية الجديدة . وفي سبيل قطع الطريق على التيار القومي العربي ، أو الاتجاه الشيعي الإيراني قبل عام ١٩٧٩ وبعده ، أو الشيوعية ، شجعوا على الصعيد الديني قيام اتجاه سُنّي عقائدي محافظ ، ولكنْ مُعادٍ أيضاً للغرب . وحرص الوهابيون السعوديون على نشر عقيدتهم في حد ذاتها ، وفرضها على المناهج التعليمية ،



وتهميش كل ما يتصل بثقافات العالم الإسلامي الأخرى، مشددين على أن الكل يجب أن يذهب في الاتجاه الحنبلي.[1] وقد تقلّص المضمون التعليمي لصالح كتيبات صغيرة الحجم، تدور حول الفقه والعبادات. كذلك قصُرت مدة الدراسة إلى ٣ أو ٥ سنوات بدل الخمسة عشر عاماً التي كانت مطلوبة لإعداد العلْماء. وتُشكِّل الفتاوى النشاط الرئيسي للمعلمين، إضافة إلى تحديد المعروف والمنكر، ليصار إلى نشرها في كتيبات تعليمية، أو عبر شبكة الانترنت.

دور المال

وضع السعوديون إمكانات مالية كبيرة في خدمة نشر هذا الاتجاه. وقامت منظمات بافتتاح العديد من المؤسسات الدينية والمدارس، وتوفير المنح بتمويل من المصارف السعودية الإسلامية والأثرياء من رجال الأعمال، المدعوين إلى دفع الزكاة مباشرة لحساب مؤسسات التربية هذه. وهكذا، نافسوا معاهد التعليم الديني التقليدية كجامعة الأزهر في القاهرة، بأن قدّموا منحاً دراسية وظروف سكن ودراسة في الجامعات الدينية السعودية[2] بشروط أفضل من مصر. كما أنه من الأسهل على اللاجئ الأفغاني الشاب أو الباكستاني، تحصيل منحة لدراسة

(١) وهي المدرسة الأكثر تمسكاً بحرفية النص المقدس، من بين المدارس الشرعية الأربع الكبرى الأخرى كالحنفية والمالكية والشافعية.

(٢) كـ «الجامعة الإسلامية» في المدينة المنورة.



الإسلام في السعودية من الحصول على اللجوء السياسي إلى استراليا .

رضا الغرب ومباركته

استفادت السعودية من الموافقة الضمنية للبلدان الغربية والإسلامية الكبرى على مناهجها التعليمية . ذلك أن السعودية ، كانت تعتبر في الثمانينات موقعاً مضاداً ، يفيد في محاربة التطرف السائد ،[1] في تلك الفترة . ونظراً للعلاقات الممتازة بين السعودية والحكومات الغربية ، كان الاعتقاد أن هذه الدعوة ستبقى تحت الرقابة السياسية ، سواء من قبل السعوديين ، أو من قبل الغربيين . ولكن يبدو أن (حساب البيدر لم يتطابق مع حساب الحقل) ، فالتحق جزء من هؤلاء الشباب في صفوف المنظمات الإرهابية ، ليس كمقاتلين وانتحاريين فقط ، ولكن كدعاة ، ومعلمين دينيين للشباب المُقدم على الإرهاب .

تقرير «بيت الحرية» بواشنطن

بعد كارثة ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، ثارت ضجة في الغرب ، وفي أمريكا على وجه الخصوص ، على المناهج الدراسية الدينية في السعودية ، باعتبار أن أكثرية الشباب الذين اشتركوا في كارثة ١١ سبتمبر ، كانوا من السعوديين . إلا أن هذه الضجة قد

---

(١) أي «الإسلام الإيراني» والشيوعية .



هدأت بعد غزو العراق ٢٠٠٣، وانشغال أمريكا والغرب بتداعيات هذا الغزو. لكن الضجة عادت وأثيرت مرة أخرى في هذا العام ٢٠٠٦، على إثر مقال[١] كتبته نينا شيّا Nina Shea.[٢] واستهلت الكاتبة مقالها بالتأكيد، على أن مناهج التعليم في المدارس الحكومية السعودية تُناوئ الغرب، وتُكفِّر أصحاب الديانات الأخرى من مسيحيين ويهود وغيرهم. وافترضت، أنه كان ينبغي بعد هجمات ١١ سبتمبر، وتورُّط ١٥ سعودياً،[٣] أن تتغير هذه المناهج.

وتذكر الكاتبة أنه في العام ٢٠٠٤، أدركت مجموعة بحثية ملكية سعودية، أن الحاجة ماسة للإصلاح، بعد أن وجدت أن مناهج التعليم الدينية في المملكة تحضُّ الطلاب على ممارسة العنف ضد الآخرين، وتضلل التلاميذ من خلال غرس الاعتقاد، أن حماية دينهم تكمن في استئصال الآخر، واستخدام العنف ضده. ومن ذلك الوقت دأبت الحكومة السعودية - كما تقول الكاتبة - على الادعاء بأنها غيّرت، ونقّحت هذه الكتب.

---

(١) نشرته جريدة «الواشنطن بوست» في عددها الأسبوعي في ٢٠٠٦/٥/٢١ بعنوان: «هذه هي المناهج السعودية بعد إزالة التعصب».

(٢) مديرة «مركز الحريات الدينية» بمؤسسة «فريدوم هاوس Freedom House» في واشنطن.

(٣) من ١٩ شخصاً هو إجمالي عدد الخاطفين.



ماذا قال التقرير؟

من الواضح أن المقال السابق كان خلاصة تقرير،[1] صدر عن «مركز الحريات الدينية» التابع لمؤسسة «فريدوم هاوس Freedom House» بالتعاون «معهد دراسات الخليج». وكاتبة المقال هي المحررة الرئيسية للتقرير. وفي هذا التقرير، تقول الكاتبة إن إلقاء نظرة سريعة على نماذج من الكتب الرسمية السعودية للدراسات الإسلامية المستخدمة خلال العام الأكاديمي الحالي، يكشف أن أيديولوجية الكراهية ضد المسيحيين واليهود والمسلمين الذين لا يتبعون المذهب الوهابي، لا زالت واقعاً قائماً في النظام التعليمي السعودي على الرغم من كل التصريحات والمزاعم حول إزالتها وتعديلها.

كذلك، يحتوي التقرير على تفاصيل واقتباسات كثيرة من مناهج وكتب المناهج الدينية (فقه، حديث، توحيد) منذ المرحلة الأولى الابتدائية، حيث تُعلِّم الكتب الطلاب أن العالم ينقسم إلى فسطاطين: مؤمنون وكفار. وكذلك، هناك في كتب المرحلة الثانوية أحد النصوص، التي تقول إن المسلم مُكلَّف بنشر الإيمان بين الناس بسائر الوسائل، بما فيها القتال، والجهاد.

ويشير التقرير إلى النتائج والتداعيات السلبية لهذه الكتب والمناهج، من خلال الإشارة إلى أن المناهج الدينية، تُشغل من

---

(١) كان التقرير من ٣٨ صفحة، ونُشر بعنوان «المناهج التعصب السعودية» Saudi Arabia's Curriculums Of Intolerance



ربع إلى ثلث الحصص الدراسية في المرحلة الابتدائية والإعدادية في المدارس السعودية ، فضلاً عن عدة ساعات من كل أسبوع في المرحلة الثانوية . وهذا بالإضافة إلى حصص «تحفيظ القرآن» ، التي عادة ما تتم خارج المنهاج ، وخارج الحصص اليومية . وفوق هذا كله ، هناك حجم تأثير هذه الأفكار على ملايين الطلاب ، حيث يبلغ إجمالي عدد المدارس الحكومية في السعودية أكثر من ٣٠ ألف مدرسة ، يدرس فيها حوالي ٦ ملايين طالب ، فضلاً على أن المملكة تدير رسمياً أكثر من ٢٠ مدرسة إسلامية في دول مختلفة ، من بينها الولايات المتحدة .

ويخلُص التقرير إلى القول ، إن التعليم هو صُلب معركة الحرية في العالم الإسلامي ، وإن فشل المملكة في إصلاح المناهج الدينية ، سيقوّض فرص نجاح السياسة الخارجية الأمريكية الهادفة إلى تشجيع الاعتدال ، وتعزيز الديمقراطية داخل العالم الإسلامي .

تعليم لا يُلبي حاجات السوق

ولو حاولنا أن نغضّ النظر عن خطورة مثل هذه المناهج الدراسية الدينية السعودية على عقول الطلبة ، وعلى انتشار الإرهاب في العالم العربي والإسلامي ، وتأملنا حاجة سوق العمل السعودي لمثل هذه النماذج من الطلبة ، التي تتخرج من الثانوية ، وهي ضعيفة ضعفاً كبيراً في العلوم الطبيعية ، والرياضيات ، واللغات الأجنبية ، لوجدنا أن المساحة التي



تشغلها المواد الدراسية الدينية السعودية في المنهاج الدراسي العام، هي السبب وراء كل هذا الضعف في المواد الدراسية الأخرى التي ذكرناها. ومن الجدير بالذكر أن الطلبة الذين يتخرجون ضعافاً في هذه المواد يُقبَلون بسهولة في المعاهد الدينية السعودية، وفي كليات الشريعة الإسلامية المختلفة، ليتخرجوا في النهاية إما كمدرسين، أو وعّاظاً، أو موظفين في وزارة الأوقاف، أو خطباء في المساجد، أو لا يجدون عملاً، مما يزيد من نسبة البطالة في المملكة.[١] في حين أن باقي التخصصات العلمية، وخاصة الهندسة، لا تجد عدداً كافياً من الطلبة المتفوقين في العلوم والرياضيات. ففي شهر يونيو ٢٠٠٦، عُقدت في مدينة جدة ندوة في كلية الهندسة في جامعة الملك عبد العزيز، انتهت إلى نتائج كثيرة مهمة، منها أن سوق العمل في المملكة يحتاج إلى سبعة آلاف مهندس سعودي سنوياً. ففي الوقت الذي يعاني سوق العمل السعودي من نقص كبير في خريجي كليات العلوم والهندسة والطب والكومبيوتر، وغيرها من التخصصات العلمية المهمة، يمتلئ السوق بخريجي كليات الشريعة والمعاهد الدينية الأخرى، الذين لا يجدون عملاً إلا على منابر المساجد، وصفحات الجرائد، وشاشات التليفزيون، كما هو قائم الآن.

---

(١) تقول بعض الإحصائيات، إن نسبة البطالة في السعودية بلغت في ٢٠١٠ حوالي ٢٠٪.



يقول المحامي السعودي عبد العزيز القاسم :

«لقد فشلت مناهج التعليم في المملكة في بناء الطالب لتحقيق آفاق المجتمع التي ينتظرها من قطاع التعليم . والدليل الملموس هو أزمة البطالة التي يعيشها الشبان السعوديون في مقابل كثافة الأيدي العاملة المستوردة ، وهذا الفشل يصل إلى حد الأزمة الخانقة ، حيث نامت سياسات التعليم عن احتياجات سوق العمل وأخلاقيات الحياة العامة ، وآدابها ، وضروريات كثيرة أخرى .»(١)

ندوة أمريكية لنقد المناهج السعودية

وبما زاد الطين بلّة ، انعقاد ندوة تحت عنوان «الإصلاح في السعودية : كتب جديدة وأفكار قديمة» بمشاركة نينا شيّا Nina Shea ، (٢) وإدارة دانييل بليتكا .(٣)

بدأت بليتكا تقديم الندوة انطلاقاً من مقولة ، إن انتصار الإسلام المعتدل على التطرف هو العنصر الرئيسي في نجاح الولايات المتحدة في تحقيق أهداف سياستها الخارجية ، منذ

(١) عبد العزيز القاسم صاحب «مركز التنوير» ، يؤكد صلته بتقرير «بيت الحرية» الأمريكي ، موقع «الساحة العربية» ، ٢٠٠٦/٦/٧ .

(٢) سبق وعرّفنا بها ، وهي مديرة مركز الحريات الدينية بمؤسسة «فريدوم هاوس» ، والناشطة في مجال حقوق الإنسان .

(٣) نائبة رئيس معهد «أمريكان انتربرايز» لدراسات الدفاع والسياسات الخارجية .



وقوع هجمات ١١ سبتمبر٢٠٠١ . كما أن إصلاح وتحديث التعليم في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، هما حجر أساس المعركة ضد التطرف والإرهاب .

أما نينا شيّا ، فقد بدأت كلمتها بالتأكيد على أن هذه الكتب والمناهج ، هي التي أفرزت الإرهاب . ثم عرضت أهم محاور التقرير المتمثلة في عدم تنفيذ المملكة الوعود التي قطعتها على نفسها بمراجعة مناهج الدراسات الإسلامية ، بإزالة مواضع التعصب والكراهية والتطرف من هذه المناهج . وعرضت نماذج من النصوص الموجودة في بعض الكتب ، والتي قد أشارت إليها سابقاً في مقال جريدة «واشنطن بوست» ، وتقرير «مركز الحريات الدينية» . كما أشارت إلى أهمية دور التقرير في تحدي الحكومة السعودية ، ودفعها إلى تغيير المناهج .

أفكار لا تُعبِّر عن الإسلام

وقالت شيّا في إجابة عن أحد أسئلة الحضور إن هذه الأفكار لا تُعبر عن الإسلام ، ولكنها تُعبر عن تعاليم الوهابية . كما تدخلت مقررة الندوة ، مُعلقة أن هذه الأفكار التي تحضُّ على الكراهية ، وإن كانت موجودة في بعض المصادر الإسلامية ، فإنها غالبا ما تُستغل وتُوظَّف خارج سياقاتها التاريخية .

أصداء تقرير «بيت الحرية» في السعودية

أحدث تقرير «الفريدوم هاوس» الأميركي ، عن المَناهج



التعليميَّة في السعودية ، صدىً سلبياً واسعاً في المملكة ، حيث رأت أوساط سعودية ، أنَّ اللوبي الصهيوني يقف وراء التقرير . وقد انقسم الرأي العام إلى قسمين . القسم الأول يمثل مجموعة من رجال الدين التربويين ومجموعة من الموظفين الرسميين في وزارة التربية والتعليم السعودية . وهؤلاء دافعوا عن المناهج الدينية القائمة حالياً ، واتهموا التقرير المشار إليه ، بأنه تقرير سلبي ومدسوس ، الغاية منه خدمة السياسة الخارجية الأمريكية ، والسياسة الإسرائيلية وأعداء الإسلام في الغرب .[1] وهؤلاء عندما دافعوا عن المناهج الدينية السعودية ، لم ينكروا ما فيها من عداء للغرب وللآخر ، بقدر ما قالوا إن المناهج الدينية الإسرائيلية فيها من الهجوم على الإسلام أضعاف ما في المناهج الدينية السعودية من هجوم على اليهود . وهذا صحيح . ولكن هذه الحجة لا تكفي لدرء التهمة عن المناهج الدينية السعودية ، التي ما زالت مليئة بالحضِّ على كراهية وعداء الآخر .

أمثلة من النصوص المدرسية السعودية

فعلى سبيل المثال وليس الحصر ، يدرسُ الطلاب السعوديون في كتاب التوحيد والفقه المقرر للسنة الأولى أن اليهود والنصارى وغيرهم من المسلمين ، سيكون مصيرهم النار . بينما

---

(١) لنلاحظ أن مثل هذه الاتهامات توجه دائماً إلى أمريكا وإسرائيل حين لا نرضى عن أي تقرير من هذا القبيل .



يتعلّم الطلاب في كل أنحاء العالم ، أن الديانتين اليهودية والمسيحية هما ديانتان سماويتان حقيقيتان .

جاء في أحد النصوص : قوله :

«كل دين غير الإسلام باطل .»

املأ الفراغات بالكلمتين التاليتين (الإسلام - النار) :

- كل دين غير . . . باطل ، ومن مات على غير الإسلام دخل . . .[1]

وقام نص آخر ، في كتاب آخر ،[2] بتوجيه الطلاب إلى كُره المشركين والكفار . وإن هذا الكُره مطلب ديني «للدين الحقيقي» . ويقول الكتاب : «الإيمان الحق ، هو أن تُبغض المشركين ، والكافرين ، ولا تظلمهم .»

ابن لادن تلميذ نجيب للتعليم الظلامي

يقول ابن لادن :

«استطاع اليهود أن يوجِّهوا النصارى من أمريكا وبريطانيا لضرب العراق .»[3]

وقال أيضاً :

«إن الأمة موعودة بالنصر أيضاً على اليهود ، كما أخبرنا رسول الله ، حيث قال : لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون

---

(١) كتاب «التوحيد» ، للصف الخامس الابتدائي ، ص ٣٠ .

(٢) كتاب «التوحيد والفقه» ، للصف الرابع الابتدائي ، ص٢٩ .

(٣) حديث في قناة «الجزيرة» ، ٢٠٠٢/٥/٣٠ .



اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودي خلفي ، فتعال فاقتله ، إلا الفرقد ، فإنه من شجر اليهود .»(١)

وهكذا ردد ابن لادن الكهل ، ما تلقنه ابن لادن الطفل ، على مقاعد المدرسة السلفية النصيّة ، وفي كتاب ما زال في المنهاج المدرسي السعودي ،(٢) وفيه النص التالي :

يقول الدرس :

«لا تقوم الساعة : لا تقوم القيامة

الفرقد : «شجر كبير فيه شوك ، واليهود يكثرون من زراعته في فلسطين ، في هذا العصر .»(٣)

ثم يضيف الدرس شارحاً معنى الحديث :

١ - «من حكمة الله تعالى ، استمرار الصراع بين المسلمين وبين اليهود إلى قيام الساعة» .

٢ - دلَّ الحديث على بشرى المسلمين بنصر الله لهم على اليهود في النهاية ، وهي من علامات الساعة .

٣ - «انتصار المسلمين ، لأنهم على حق . وصاحب الحق منتصر دائماً ، ولو كان الناس ضده .»

---

(١) حديث في قناة «الجزيرة» ، بمناسبة عيد الأضحى ٢٠٠٢ .

(٢) كتاب «الحديث» في المنهاج السعودي للمرحلة المتوسطة ، ص ١٢٢ .

(٣) وهذا غير صحيح واقعياً .



٤ - يكون نصر الله تعالى للمسلمين إذا صدقت نياتهم ، واتحدت كلمتهم ، وتمسكوا بشريعة ربهم ، والتزموا أحكامه ، وصبروا ، وصابروا .

٥ - لا تكفي القوة المادية وحدها من أجل النصر ، لكن لا بُدَّ من التوكل على الله تعالى ، والاعتماد عليه .

٦ - من كان مع الله دائماً كان الله معه ، ولو مرّت به بعض المصائب والمحن ، فالعبرة بالنتيجة وبالخاتمة .

٧ - اليهود والنصارى أعداء المؤمنين ، ولا يمكن أن يرضوا عن المسلمين . فيجب الحذر منهم .

ثم ينتقل الكتاب إلى «أسئلة للمناقشة والواجب» .

أولاً : أسئلة المناقشة :

س١ - بِمَ بشر رسول الله ﷺ في هذا الحديث؟

س٢ - ما اسم الشجر الذي لا يخبر عن اليهود؟

س٣ - لمن تكون الغلبة في آخر الزمان ؟

س٤- بِمَ يجب أن يتسلح المسلمون ضد اليهود؟

ثانياً أسئلة الواجب :

س١ - هل يرضى اليهود والنصارى عن المسلمين ، ولماذا؟

س٢ - ما الفرقد؟

س٣ - أذكر أربعة عوامل لانتصار المسلمين على أعدائهم؟

وهناك العشرات من هذه الأمثلة ، التي تمتلئ بها كتب المنهاج الديني السعودي لمختلف المراحل الدراسية .



هجوم على التقرير، ودفاع عن المناهج

كان ردُّ بعض الرسميين السعوديين على سائر ما يقال في أمريكا من هجوم ونقد مرير للمناهج المدرسية الدينية السعودية يقول :

«على من هاجموا مناهجنا أن يعدلوا ويتأملوا وينقدوا العداء ، الذي رصدناه بشكل علمي في مناهج إسرائيل .»(١) .

وقال بعضهم :

«إن من وصم مناهجنا بالتطرف انطلق من تفسيرات بعيدة عن بيئتنا الثقافية .»(٢)

وقال عضو في هيئة كبار العلْماء في السعودية :

«مناهجنا تعلم الوسطية والاعتدال ، وتدعو إلى احترام العهود ، وتحذر من الغلو وتُحرِّم الغدر والخيانة .»(٣)

وقال قاض :

«إن التقرير الأمريكي السابق نقل نصوصاً مبتورة ، مغفلاً دلالتها وتفسيراتها . والنصوص في القرآن لها آليات ، وتفسيرات ، بل وشفرات ، لا يستطيع فكها ، وحلها إلا من هو متخصص في العلم الشرعي من الذين يدركون أبعاد النص .

---

(١) علي الخبتي ، وكيل وزارة التربية والتعليم السعودي المساعد للدراسات والبحوث التربوية ، جريدة «الوطن» ، ٢٠٠٦/٥/٥ .

(٢) علي عمر بادحدح ، أستاذ الحديث وعلوم القرآن في جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، منتديات «قصيمي نت» ، يناير ٢٠٠٦ .

(٣) الشيخ صالح الفوزان ، منتديات «قصيمي نت» ، يناير ٢٠٠٦ .



والنصوص التي ذكرها التقرير صحيحة ، ولكنها كانت موجهة للذين حاربوا الله ورسوله ، ولمن يعادون الله ورسوله .»[1]

وقال داعية سعودي :

«إن أفعال الغرب هي سبب الكراهية ، وليست مناهجنا الدينية . وإن المطالبة بتعديل المناهج الدينية الدراسية السعودية ، اتهام وسوء أدب لنهج المملكة العربية السعودية . بل وذم في منهجها السياسي الدولي . ووصل الأمر إلى مطالبة الغرب بحذف أساسيات الدين ، بل والحياة من كتبنا ومناهجنا . ولم يعلم الغرب أن هذه المناهج هي سر بقائنا وحياتنا . وأمريكا تفعل ذلك متناسية ما تقوم به من زرع كراهية المسلمين والإسلام ، في نفوس أبنائنا .»[2]

وقالت تأكيدات سعودية أخرى ، على أن ما ورد في التقرير الأمريكي المذكور يُعدُ تحاملاً غير مبرر على المملكة العربية السعودية . وأن ما ذُكر في هذا التقرير أمر مبالغ فيه .[3]

---

(١) الشيخ إبراهيم الخضيري قاض سعودي في المحكمة الكبرى Supreme Court ، منتديات «قصيمي نت» ، يناير ٢٠٠٦ .

(٢) الشيخ علي المالكي ، منتديات «قصيمي نت» ، يناير ٢٠٠٦ .

(٣) دراسة أعدها محمد معجب الحامد ، وهو باحث وأكاديمي سعودي ، ودراسة ثانية لزيد عبد المحسن الحسين وهو باحث وأكاديمي سعودي ، ودراسة ثالثة للشيخ محمد النجيمي رئيس قسم الدراسات المدنية بكلية الملك فهد الأمنية في الرياض ، وأستاذ في المعهد العالي للقضاء ، وعضو بمجمع الفقه الإسلامي ، إضافة إلى عضويته بعدد من الهيئات الشرعية .



وقال النجيمي :

«المناهج الدينية السعودية متكاملة ومتوازنة ، ولا يوجد فيها غلو أو تطرف ، بل تحتاج إلى التهذيب والتعديل بين فينة وأخرى .»[1]

وقالت أكاديمية سعودية : «لم ألحظ في المناهج الدينية الدراسية ما يدعو إلى الكراهية .

بل إن هذه المناهج تدعو إلى الاعتدال ومعالجة قضايا الشباب ، والمرأة المسلمة ، من خلال الوسطية .»[2]

وقد انضم إلى هؤلاء الذين هاجموا التقرير الأمريكي المذكور بعض الناشطين المسلمين في أمريكا ، وقالوا :

«إن هذا التقرير ، وقبله المقالات التي نشرت تهدف إلى تشويه الإسلام ، والى تشويه السعودية كمركز للإسلام» .

وطالب نهاد عوض الحكومات الإسلامية والمسلمين بالقيام «بحملات منظمة وقوية ومدعومة داخل أمريكا لتوضيح الحقائق للرأي العام الأمريكي .»[3]

وقال باحثون سعوديون :

«إن من يطالب السعودية بتغيير مناهجها التعليمية إنما

---

(١) منتديات «قصيمي نت» ، يناير ٢٠٠٦ .

(٢) كاملة آل مقبل عميدة كلية التربية للبنات في أبها . منتديات «قصيمي نت» ، يناير ٢٠٠٦ .

(٣) نهاد عوض ، رئيس مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير) في واشنطن .



يطالب بتغيير ديننا خدمة لمصالحه ومعاركه ، وتحقيقاً لافتراضاته ، وسياسته . وهو ما يتمثل ليس فقط مساساً بالسيادة الفكرية والوطنية للمجتمعات المسلمة ، بل ومساساً بأسس ديننا ، وعقيدتنا .»[١]

سؤال ساذج يُطرح دائماً للدفاع الضعيف

وتساءل الباحثان الحامد والحسين ، سؤالاً ساذجاً لا عقلانياً ، يُطرح دائماً من قبل السلفيين المتمسكين بمثل هذه المناهج ، بقولهما :

هل نلغي النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، إرضاءً لتقرير «بيت الحرية» الأمريكي؟

ومن المعلوم ، أن كثيراً من السلفيين الذين تعرّضوا للتقرير الأمريكي المذكور ، قد سألوا هذا السؤال الساذج ، لإثارة عواطف باقي المسلمين في السعودية ، وخارج السعودية .

فالمطلوب ليس إلغاء آيات قرآنية ، أو أحاديث نبوية . فلا أحد يطالب بذلك ، ولا أحد يجرؤ على ذلك ، لا في داخل السعودية ، ولا في خارجها . ولكن المطلوب عدم التركيز على هذه الآيات والأحاديث النبوية التي جاءت في حق أناس عادوا دعوة الإسلام منذ ١٥ قرناً مضت ، ووقفوا في ذلك الوقت مواقف ، ذات حدود زمنية ومكانية ضد انتشار الإسلام ، على

---

(١) الباحثان السعوديان السلفيان محمد الحامد وزيد الحسين في بحثهما : «التعليم الديني في السعودية» ، جريدة «الشرق الأوسط» ، ٢٠٠٤/١/٤ .



ما تقول الأدبيات التاريخية التراثية الإسلامية . في حين يقول بعض الباحثين إن العداء بين المسلمين واليهود ، والذي ذُكر معظمه في سور القرآن المدنية[1] وفي الأحاديث النبوية في الفترة نفسها ، كان لأسباب مالية ، وتسليحية صرفة ، حيث رفض يهود المدينة المنورة الذين كانوا يسيطرون على مراكز المال والزراعة وصناعة السلاح ، مساعدة الرسول بالمال والسلاح لمحاربة أعدائه القرشيين ، الذين كانوا زبائن كبار ومهمين وحيويين لليهود التجار ، وأصحاب مراكز المال ، وكانوا بمثابة بنك الجزيرة العربية في ذلك الوقت ، ويقرضون القرشيين الأموال الطائلة للأغراض التجارية .[2]

موقف المثقفين السعوديين من التقرير

أما بعض المثقفين السعوديين ، فكان لهم رأي مخالف لما سبق من آراء في المناهج الدينية الدراسية ، كما لهم رأي مخالف فيمن انتقدوا هذه المناهج . وتتلخص آراؤهم كما يلي :

«ليس سراً أن كثيراً من المصلحين الإسلاميين غير راضين عن مستوى المناهج الدينية الدراسية بوضعها الحالي ، ولكن كثيراً منهم يتكتم على هذه الاجتهادات التجديدية ، ويحجم عن المشاركة في المبادرات الإصلاحية لدوافع نفسية أكثر من

---

(١) السور التي نزلت بعد هجرة الرسول عليه السلام إلى المدينة المنورة .

(٢) شرحتُ هذه المسائل بتعمق وتفصيل ، في كتابي «**المال والهلال . . الموانع والدوافع الاقتصادية لظهور الإسلام**» ، دار الساقي ، لندن ، ٢٠٠٢ .



كونها دوافع علمية بحتة ، ذلك أن أزمة الثقة والارتياب المتبادل بين مؤسسات المجتمع ونخبه الدينية بشكل خاص ، خنقت قنوات التواصل المثمر . لذلك ، فإن أول خطوة في طريق إصلاح المناهج الدينية هي استعادة أجواء الثقة إلى المناخ الاجتماعي .»[١]

ويؤيد السكران على ما يبدو ، وبشكل غير مباشر ما جاء في تقرير «بيت الحرية» المذكور ، فيقول :

«إن الإصلاحات الأخيرة للمناهج الدراسية الدينية ، كانت دون المأمول إلى حد كبير . فقد كانت تعديلات عشوائية ، اتسمت بالتسرع والفوضوية ، أكثر من كونها إصلاحاً منظماً ، يستهدف بناء منظومة القيم الشرعية . وفي تقديري أن هذه الإصلاحات كانت ردة فعل نابعة من وحي اللحظة السبتمبرية . وقد أظهرت الدراسات التحليلية للمناهج الدينية الدراسية ، أن هذه المناهج ذات رسالة مذهبية ، تُعمّق التعصب للخيارات العقائدية والفقهية المحلية ، وتنفخ الزهو المذهبي ، والاصطفاء ، والاستخفاف باجتهادات المدارس الدينية المختلفة في العالم الإسلامي .»[٢]

ويقول كاتب ليبرالي كان سلفياً في السابق :

«إن الأزمة التي يعاني منها التعليم في السعودية أكبر من أن

---

(١) إبراهيم السكران ، المحامي والباحث ، منتديات «قصيمي نت» ، يناير ٢٠٠٦ .

(٢) المصدر نفسه .



تعالج بتعديل المناهج الدينية الدراسية أو حذفها أو اختصارها ، أو بإضافة فصول عن ثقافات وأديان أخرى ، بل إن التعليم العام انعكاس للثقافة ، وهي ثقافة تُخرِّج حفظة نصوص ووعاظاً . أما إن كان الحديث عما تتضمنه المناهج من أفكار مخيفة ومثيرة للرعب ، فحينما تغرس ديناً ستجني ديناً . وإذا قررت تعاليم تحوي الانغلاق والتشدد ، فعليك ألا تتفاجأ حينما يخرج لك معلمين ، وأساتذة ، وجيلاً من الشباب ، يستحيل عبئاً وهماً . عليك حينئذ أن تقوم بتهنئة نفسك ، لأن ما غرسته جنيته ، جزاءً وفاقاً . وهذه ليست مشكلة تعاني منها السعودية وحدها ، بل معظم الدول العربية والإسلامية ، ولكنها في السعودية اتخذت شكلاً أكثر حدة ، وأكثر مأساوية ، لأنها دولة تُحكم بالدين . فنشأ مجتمع يفكر بتفكير الشيخ ، سواء كان طبيباً ، أو مهندساً ، أو عالماً بالأدب . فأفتى الطبيب ، وتنسَّكَ الأديب ، وتدروش المهندس ، ونافق عالم النفس ، لشعوذات القراء ، وأساطير العجائز .»

وأضاف النقيدان :

«نحن نعلم جيداً لماذا تفوقت الحضارة الغربية ، وأوروبا ، وأمريكا ، واليابان ، ولماذا أنشأت مؤسسات تعليم ، منحتها مرتبة الصدارة بين أمم الأرض؟ ونحن اليوم نرقب جيداً ما تفعله تركيا ، وما حظيت به ماليزيا ، وما تحته الهند من خطى متقدمة في مجال البرمجيات ، وشرائح الكمبيوتر . وللسبب ذاته ، الذي تمتاز به مؤسسات التعليم لدى العالم المتقدم ، نبتعث الآلاف من أبنائنا لينالوا التعليم الراقي . ولكنهم يذهبون مكائن



معطوبة . فتعود كثير من تلك العقول كما ذهبت ، بقليل من العلم ، وكثير من الهوس . والإجابة بسيطة والحل واضح . ولكننا نحب الثرثرة ، حيث يستحيل الحديث عن تعليم متقدم دون الحديث عن الحريات . الحرية تفجر الطاقات ، وتفتح آفاقا واسعة للإبداع ، حينما نعطي أنفسنا قدراً أكبر من حرية التعبير ، وحرية النقد والتغيير في الأفكار ، ونرفعها إلى المستوى الإنساني المتمدن ، الذي تعيشه شعوب العالم المتحضر . وحينما نمنح المخترعين والمهندسين والأطباء تقديراً يفوق ما يناله مؤذن جاهل ، أو واعظ منغلق ، حينئذ سنكافئ أنفسنا بتعليم يمنحنا مكانة محترمة .»[1]

وتتابعت ردود الليبراليين بكثرة ومنها ما قاله عبد العزيز القاسم ، المستشار القانوني السعودي عن موضوع «الولاء والبراء» :

«[الولاء والبراء] مفهوم جديد نشأ في القرون الثلاثة الماضية ، وإن كان لهذا المفهوم أساس في الشريعة ، لكنه مخالف للتفسيرات الطارئة في القرون الأخيرة . ولهذا لو بحثنا في تراثنا الفقهي في (فقه المغازي) أو تراثنا الكلامي وما يسمى بـ(العقائد) أو في تفاسير الكتاب وشروح السُّنَّة ، فإننا لن نجد

---

(١) منصور النقيدان ، نقلاً عن سالم الصقيه ، « اشتعال المعركة بين التيارات الفكرية يسحب المناهج إلى دائرة الضوء» ، موقع «منتديانا» ، عن جريدة «الوطن» السعودية ، ٢٠٠٦/٦/٨ . وقد تعمدنا إيراد معظم رد النقيدان ، الطويل لأهميته كموقف ليبرالي واضح .



مادة مكتوبة كما نجد في كتاب حديث مثل «الدرر السنية» . والتضخيم الذي طرأ على [الولاء والبراء]في الفترة الأخيرة ، مرده سوء استخدام هذا المفهوم في المعارك السياسية والحزبية ، ويكفي أن نستعرض بعض تطبيقات [الولاء والبراء] ، لنكتشف التناقض الكبير فيها ، تبعاً للظروف السياسية ، والأهواء التي تحرك توظيفها .» (١)

وفي موضوع تدريس مادة التاريخ الأجنبي في المناهج السعودية ، قال القاسم :

« لقد أدت النظرة الكلامية المتشددة في المملكة إلى تجاهل كثير من المعارف والمهارات منها على سبيل المثال : دراسة التاريخ الإنساني ، ودراسة تطور الفكر البشري ، ودراسة تكوين المجتمع الدولي والآليات التي تحركه . ولهذا أوجد نظام التعليم حالة اغتراب متعمدة يعيشها الطالب ، تجاه المجتمع الإنساني والحضارة ، في الوقت الذي نجد القرآن الكريم ، يعرض مسيرة التاريخ الإنساني ، وتدافع الأفكار والأمم في مسيرته . وقد أدخل الإسلام ثقافات واسعة في تشريعاته وثقافته . ولهذا أرى ، وجوب عرض تطور الفكر والتاريخ الإنساني في مناهجنا الوطنية ، إضافة إلى تركيبة المجتمع الدولي ، وآليات تحركه ،

---

(١) عبد العزيز القاسم ، نقلاً عن سالم الصقيه ، « اشتعال المعركة بين التيارات الفكرية يسحب المناهج إلى دائرة الضوء» ، موقع «منتديانا» ، عن جريدة «الوطن» السعودية ، ٢٠٠٦/٦/٨ . وقد تعمدنا إيراد معظم رد القاسم الطويل ، لأهميته كموقف ليبرالي واضح .



وهذا المحتوى ضروري لإعادة تشكيل رؤية الطالب للعالم من حوله ، ليرى العالم كما هو عليه ، خليطاً من الخير والشر ، والحق والباطل ، فيتعامل معه برؤية اعتدال . بهذا النوع من البناء ، سيجري تحصين رؤية الطالب ، وحمايته من أي عدوانية ، يمكن أن يُدفع إليها .»(١)

وفي شأن المناهج تقول أستاذة علم الاجتماع الثقافي ، والكاتبة ، الدكتورة بدرية عبد الله البشر :

«إن في بلادنا شتاء قصير ، وطوال العام صيف ، وليس فيه ربيع مزهر ، ولا حتى خريف ، فكيف أصف ما لا أرى؟

وإن فعلت سيكون موقفي مضحكاً وظريفاً . لقد ظننت أنها قطعة شعرية مميزة في درس المحفوظات ، فهي ولأول مرة قصيدة فيها منطق وعقلانية ، إلا أن غادة ابنة أختي التي سمعتها تنشد هذه الأبيات ، قالت لي إنها دور مسرحي في نشاطها المدرسي . فهي تقوم بدور البنت المشاغبة ، التي تتهرب من طلب معلمتها في كتابة وصف عن الربيع ، فهل حقا يجوز لغادة أن تُوصف بالبنت المشاغبة ، لأنها قالت : فكيف أصف ما لا أرى؟

نعم مشاغبة لأنها خارجة عن نص المنهج ، فمناهجنا تقوم منذ تأسيسها على مبدأ هام ، هو وُصف ما لا يُرى ، وهي بهذا تقوم بدور هام ، هو توسيع ملكة الخيال ، حتى صار طلابنا وطالباتنا يعيشون في بحر كبير من الخيال ، ما إن يخرجوا منه ،

---

(١) المصدر السابق .



حتى يفتح كل واحد منهم فمه واسعاً ، عند كل تجربة . ولهذا سمعتم فيما بعد ، بمشكلة اسمها (مخرجات التعليم لا تلبي حاجة سوق العمل) . والسبب أن مناهجنا تعتمد على وصف ما لا يُرى ، وأنا هنا لا أقصد دروس الزكاة ، التي يحفظها الطلبة عن ظهر قلب في الصفوف الابتدائية ، عن نصاب الإبل ، وسؤال : إذا كان عندك خمسون رأساً من الغنم فما هو مقدار الزكاة فيها؟ ولا أسال عن تلك العبارات والكلمات الموجودة في المعلقات الشعرية الخاصة بالعصر الجاهلي ،التي على الطلبة والطالبات أيضاً أن يحفظوها ، والتي لو سألت طالبا عن معناها لفتح فمه واسعاً ، وقال لك : كيف أصف ما لا أرى؟

إن كل سؤال يخالف النص ، ولا يُحفظ عن ظهر قلب ، ويعتمد على تحليل عقلي أو استنتاج ، لرتق شقّ الذاكرة ، الذي سقطت منه الكلمة في النص ، سوف تُشطب إجابته ، ويُوضع للطالب صفر» .

وتابعت البشر ، قائلة :

«اشتكت لي أم ، أن ابنتها نالت علامة صفر ، على جواب يسأل : بأي اتجاه نصلي؟ فنسيت الطالبة كلمة «القبلة» ، ووضعت بدلاً منها [باتجاه مكة] . وطبعاً الإجابة خطأ . أما ما هو أطرف ، فسؤال : أين تقع صحراء الربع الخالي؟ ولأن الطالب الكسول لم يحفظ الدرس ، فقد أجاب بما أملاه عقله عليه ، فقال في الخريطة! فحصل بامتياز على صفر .»

وأضافت :

«هناك عدد من الشواهد من الواقع ، وإن مناهجنا تؤكد على



ثقافة الكراهية للآخر، وهذا موجود في مناهجنا، وقد حُمِّلت المناهج مسؤولية في الكراهية. مثال ذلك، ما هو موجود في «كتاب القراءة للمرحلة المتوسطة»، في سؤال مفاده: لو وجدت قريباً لك معجباً بحضارة الغرب هل تؤيده؟

وكذلك يوجد سؤال في «كتاب الفقه للصف الأول الثانوي» في مسألة القصاص بالكافر والمسلم، وفي «كتاب التوحيد والفقه في الصف الثالث الابتدائي» هناك فصل عن «الواجب على المسلم تجاه الكفار بغضهم.»(١)

ويقول الكاتب السعودي حمزة قبلان المزيني:

« يكفي أن أذكر هنا، المقالات الموثقة التي كتبها حسن المالكي، ونشرتها الصحف السعودية سنة ٢٠٠١، وما بعدها. وقد تناولت تلك المقالات كثيراً من المآخذ المعزِّزة للعداء لبعض الفرق الإسلامية في مناهج التاريخ، والدين خاصة.

ومن ذلك، مثلاً، أنني كتبتُ تعقيباً على وزير المعارف في حينه، نشرته صحيفة «الشرق الأوسط» في ٢٦/٢/٢٠٠٠، عرضت فيه لبعض المآخذ على العملية التعليمية بجملها.

ولا يفوتني هنا، أن أشير إلى الاعتراف الموارب ببعض المشكلات في المناهج التي تسربت في إجابة الدكتور الخبتي في قوله:

---

(١) بدرية البشر، نقلاً عن سالم الصقيه، «اشتعال المعركة بين التيارات الفكرية يسحب المناهج إلى دائرة الضوء»، موقع «منتديانا»، عن جريدة «الوطن» السعودية، ٨/٦/٢٠٠٦.



«أما مناهج السعودية ، فإن النماذج التي أوردت بها مغالطات كبيرة ، عبارة عن آراء لأشخاص حملت ما لا تحتمل ، فمناهجنا في مجملها خالية من لغة العداء» .

ففي هذا القول ، اعتراف بأن هناك آراء لبعض الأشخاص في المناهج ، مع أنه يجب أن تصوغها مجموعة تُعبِّر عن الرأي الوسطي ، الذي يقرب من الإجماع الوطني بين التيارات كلها في وطننا ، الذي نشترك في الانتماء إليه .»

وكذلك قوله :

«إن مناهجنا – في مجملها– خالية من لغة العداء . وهذا اعتراف بأنها لا تخلو من لغة العداء .

وأكرر هنا ، أنه لا يصلح أن يكون ما نجده من مآخذ على مناهج الآخرين وسيلة للدفاع عما يوجد من مآخذ في مناهجنا . ذلك أننا لا نستطيع ، أخلاقياً ، أن نجادل الآخرين ، ونحاججهم بعيوبهم ، إلا أن نبرأ نحن من العيوب المشابهة . وهذا مبدأ إسلامي أصيل يمثله الجدل بالحُسنى ، وعدم سبِّ آلهة المشركين ، حتى لا يجدوا ذلك مسوغاً لسبِّ الله تعالى . ومن واجب الكتّاب السعوديين أن يتشددوا في ملحوظاتهم ، كي تتخلص المناهج السعودية مما يمكن أن يكون مثيراً للآخرين .»(1)

وهذا التعليق ، يُعتبر بمثابة نقد مرير وواضح ، لمناهج التعليم الديني السعودي ، من قبل كاتب وباحث سعودي ، ومن الذين

---

(1) المصدر السابق .



يدافعون عن الإصلاح السياسي ، والاجتماعي ، والثقافي ، والتعليمي السعودي ، ويدعون إلى فتح النوافذ المغلقة على العالم ، لتجديد هواء الغرف المظلمة المعزولة ، عما يحصل في العالم من تطورات وتقدم ، على الأصعدة كافة .



ملاحظات ختامية

نلاحظ من خلال كل ما سبق من أقوال وتعليقات ، أن الذين هاجموا التقرير الأمريكي المذكور لـ «بيت الحرية» ، قد ركزوا على النقاط التالية ، تهرباً من الحقائق المريرة التي ذكرها التقرير ، مدعمة بالأمثلة ، والوثائق ، والقرائن المأخوذة من نصوص المناهج الدينية المدرسية السعودية نفسها :

١- ضرورة الالتفات إلى المناهج الإسرائيلية ، والمناهج الأمريكية ، التي تشوّه صورة الإسلام والمسلمين ، بدلاً من نقد المناهج السعودية . وهذا في حد ذاته هروب من مواجهة الحقيقة القائمة في هذه المناهج .

٢- اعتُبر نقد المناهج الدينية الدراسية السعودية ، نقداً للدين الإسلامي نفسه ، ومساساً مباشراً بهذا الدين ونصوصه . وأن هدف هذا التقرير وتقارير أخرى مشابهة له ، هو تغيير الدين ، وليس تغيير نصوص المناهج الدينية المدرسية .

٣- اعتُبر نقد المناهج الدينية الدراسية السعودية مؤامرة غربية صليبية على الإسلام والمسلمين ، وليس مجرد نقد لنصوص المناهج الدينية الدراسية السعودية .

٤- اتُهم واضعو هذا التقرير وغيره من التقارير المشابهة ، بأنهم لا يعرفون البيئة الثقافية السعودية . وليسوا عالمين بعلوم القرآن ، والأحاديث النبوية . وأنهم يفسرون النصوص المذكورة في المناهج الدينية الدراسية السعودية تفسيراً خاطئاً .



٥- اعتُبر نقد المناهج الدينية الدراسية السعودية ، تحاملاً غير مبرر على المملكة العربية السعودية ، حيث لا كراهية في المناهج الدينية الدراسية السعودية ، وإنما الكراهية هي في صدور الغربيين .

٦- لم يلتفت التقرير ، وكذلك نقاد التقرير ، إلى حقيقة مهمة ، وهي دور المدرس السعودي في تلقين الطلبة كراهية الآخر ، حتى ولو لم تكن هذه الكراهية مبثوثة في نصوص المناهج الدينية الدراسية السعودية . فمن المعروف في السعودية ، أنه لا يسمح لأي مدرس غير سعودي تدريس المناهج الدراسية الحساسة كمنهاج الدين ، واللغة العربية ، والتاريخ . وتدريس هذه المواد الثلاث «السيادية» ، قاصر فقط على المدرسين والمدرسات السعوديين والسعوديات . وهذا دليل على أن وزارة التربية والتعليم ، تحرص على أن تصل رسالة معينة في الدين ، وفي التاريخ ، وفي اللغة العربية ، إلى الطالب السعودي من المدرس السعودي المؤدلج ، الذي غالباً ما يكون من التيار الديني المتشدد ، الطاغي على الشارع السعودي .

٧- إن الحكومة السعودية يمكنها تغيير المناهج تحت ضغط خارجي قوي ، وإرضاءً لدول غربية معينة ، ومنها أمريكا ، ولكي تدفع عن نفسها تهماً سياسية كثيرة . ولكن تغيير المناهج كما قال كثير من الليبراليين السعوديين ، غير كافٍ للتقليل من كراهية الآخر ، وتكفيره . فالمهم هو البناء الاجتماعي السعودي ، والتربية البيتية السعودية ، والثقافة



السعودية السائدة كذلك . ومن دون انفتاح المجتمع السعودي ، ورفع سقف الحريات في التعبير الثقافي بشتى أنواعه ، وتكبير هامش الحرية في الصحافة والإعلام عموماً ، لن ننتظر أن تتغير نظرة المجتمع والفرد السعودي إلى الآخر ، نحو التسامح ، والتكامل ، والتكافل ، والبناء ، والجهد المشترك من أجل عالم أفضل .




مكتبة
الفكر الجديد

كتب للمؤلف

في نقد الشعر:

١- فدوى تشتبك مع الشعر (دراسة في شعر فدوى طوقان) ١٩٦٣.

٢- رغيف النار والحنطة (دراسة في الشعر العربي الحديث) ١٩٨٦.

٣- الضوء واللعبة (دراسة في شعر نزار قباني) ١٩٨٦.

٤- مجنون التراب (دراسة في شعر محمود درويش) ١٩٨٧.

٥- تَبْتُ الصمت (دراسة في الشعر السعودي الحديث) ١٩٩٢.

٦- قامات النخيل (دراسة في شعر سعدي يوسف) ١٩٩٢.

٧- عاشق خُزامى (حفريات الحب والحكمة في شعر خالد الفيصل) ٢٠٠٦.

في نقد الرواية:

٨- مذهب للسيف ومذهب للحب (دراسة في أدب نجيب محفوظ) ١٩٨٥.

٩- فَضُّ ذاكرة امرأة (دراسة في أدب غادة السمّان) ١٩٩٠.

١٠- مدار الصحراء (دراسة في أدب عبد الرحمن منيف) ١٩٩١.

١١- مباهج الحرية في الرواية العربية (دراسة لعشرة روائيين عرب) ١٩٩٢.



١٢- جماليات المكان في الرواية (دراسة في أدب غالب هلسا) ١٩٩٤ .

١٣- الرواية الأردنية وموقعها من خارطة الرواية العربية ، (مع آخرين) ١٩٩٤ .

في نقد القصة القصيرة:

١٤- النهايات المفتوحة (دراسة في أدب انطون تشيكوف) ١٩٦٣ .

١٥- المسافة بين السيف والعنق (دراسة في القصة السعودية) ١٩٨٥

في نقد الموسيقا:

١٦- الأغاني في المغاني- جزآن (السيرة الفنية للشيخ إمام عيسى) ١٩٩٨ .

في نقد الفن التشكيلي:

١٧- أَكَلَهُ الذئب (السيرة الفنية للرسّام ناجي العلي) ١٩٩٩ .

في نقد الثقافة:

١٨- الزمن المالح (أوراق في جدلية السياسة والثقافة العربية) ١٩٨٦ .

١٩- الثقافة الثالثة (أوراق في التجربة الثقافية اليابانية) ١٩٨٨ .



٢٠- النهر شرقاً (دراسة في الثقافة الأردنية المعاصرة) ١٩٩٣ .
٢١- عصر التكايا والرعايا (المشهد الثقافي لبلاد الشام في العهد العثماني) ١٩٩٩ .
٢٢- هاملت عربي (مع آخرين) (أوراق في ذكرى مؤنس الرزاز) ٢٠٠٣

في نقد الفكر:

٢٣- الرجم بالكلمات (دراسة لمجموعة من المفكرين العرب المعاصرين) ١٩٨٩ .
٢٤- ثورة التراث (دراسة في فكر خالد محمد خالد) ١٩٩١ .
٢٥- الفكر العربي في القرن العشرين ١٩٥٠-٢٠٠٠ ، (ثلاثة أجزاء) ٢٠٠١ .
٢٦- الليبراليون الجدد (جدل فكري مع آخرين) ٢٠٠٥ .
٢٧- محامي الشيطان (دراسة في فكر العفيف الأخضر) ٢٠٠٥ .

في نقد السياسة:

٢٨- النار تمشي على الأرض (شهادات في الحياة العربية) ١٩٨٥ .
٢٩- قطار التسوية (دراسة لكافة مبادرات التسوية الفلسطينية) ١٩٨٦ .
٣٠- محاولة للخروج من اللون الأبيض (أوراق في السياسة العربية) ١٩٨٦ .



٣١- وسادة الثلج (العرب والسياسة الأمريكية) ١٩٨٧ .
٣٢- السلطان (دليل السياسة لحفظ الرئاسة) ٢٠٠٠ .
٣٣- الشارع العربي (دراسة سياسية تاريخية) ٢٠٠٣ .
٣٤- صعود المجتمع العسكري العربي (مصر وبلاد الشام) ٢٠٠٣ .
٣٥- زوايا حرجة في السياسة والثقافة ٢٠٠٤ .
٣٦- الزلزال (أوراق في أحوال العراق) ٢٠٠٥ .
٣٧- أسئلة الحمقى (في السياسة والإسلام السياسي) ٢٠٠٥ .
٣٨- لماذا؟ (أسئلة العرب مطلع الألفية الثالثة) ٢٠٠٦ .
٣٩- ابن لادن والعقل العربي ٢٠٠٧ .
٤٠- سجون بلا قضبان (يحدث في العالم العربي الآن) ٢٠٠٧ .
٤١- بالعربي الفصيح : محاولات صريحة لفهم ما لم يُفهم ٢٠٠٨ .
٤٢- سور العرب العظيم ٢٠٠٩ .
٤٣- تهافت الأصولية ٢٠٠٩ .
٤٤- العرب بين الليبرالية والأصولية الدينية ٢٠١٠ .
٤٥- الليبرالية السعودية بين الوهم والحقيقة ٢٠١٠ .
٤٦- الحداثة والليبرالية .. معاً على الطريق ٢٠١٠ .
٤٧-الإسلام وجراب الحاوي ٢٠١١ .



في نقد التاريخ:

٤٨- المال والهلال (الموانع والدوافع الاقتصادية لظهور الإسلام) ٢٠٠٢ .

٤٩- لو لم يظهر الإسلام ما حال العرب الآن ؟ ٢٠٠٢ .

في نقد التربية:

٥٠- الطائر الخشبي (شهادات في سقوط التربية العربية) ١٩٨٨ .

في نقد التنمية:

٥١ - لكي لا ينبت الشوك في أيدينا (شهادات في الحياة السعودية) ١٩٨٤ .

٥٢- سعودية الغد الممكن (بحث استشرافي تنموي) ١٩٨٥ .

٥٣- طَلْقُ الرمل (أوراق في التنمية والثقافة الخليجية) ١٩٨٨ .

في ترجمة النقد:

٥٤- سارتر المفكر العقلي الرومانسي ١٩٦٤ .

٥٥- دراسات في المسرح الفرنسي ١٩٦٤ .



ISLAM AND THE MAGICIAN'S SACK

الإسلام وجراب الحاوي

لماذا حولنا الإسلام إلى حجاب وإرهاب؟

الّذين يرفعون اليوم الشعار السياسيّ العاطفيّ الطنّان والرنّان: الإسلام هو الحلّ، يريدون أن يكون الإسلام جراب الحاوي، الّذي يمكن أن تخرج منه الأرانب والأسود والفيلة كذلك. وكما قال محمّد أركون. فـ «كلمة الإسلام أصبحت كالجراب تتّسع لكلّ شيء، ويخرج منها كلّ شيء!»

أعداء الإسلام في العالم كثيرون، منهم الجاهل ومنهم الحاقد. وهم جميعًا يمسكون بترّهاتنا. وتفاسير مجاذيبنا، وخطابات حمقانا، وفتاوى دراويشنا المضحكة، ويعضّون عليها بالنواجذ. ويعتبرونها الإسلام الّذي لا يصحّ غيره، ويقولون للعالم: هذا هو الإسلام الّذي يريدون منه الحلول واسترجاع الطلول!

وهذا الكتاب فيه أمثلة كثيرة من الشعوذة الدينيّة، بحيث أصبح الإسلام العظيم كجراب الحاوي، كما قال محمّد أركون. يحوي كلّ شيء؛ ويستطيع الحواة والسحرة والمشعوذون أن يخرجوا منه كلّ ما نريد ونطلب. وأصبحت تجارة الدين أنفع وأكثر فائدة من أيّ تجارة أخرى. بل هي تفوّقت على تجارة المخدّرات، وأصبح حواتها من أصحاب الملايين.





